

[سورة فصلت]

سميت « حم السجدة » لاشتغالها على آية السجدة . تدل على بطلان عبادة المظاهر بالكليّة ، وأن الله يستحق بذاته أجل العبادات . وهي مكية . وعدد آياتها أربع وخمسون آية .

[١] ﴿ حم ﴾ وتقرأ : حا . ميم .

[٢] ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ .

[٣] ﴿ كتاب ﴾ نسبة التنزيل إلى الرحمن الرحيم ، للإيدان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية ، واقع بمقتضى الرحمة الربانية ﴿ فصلت آياته ﴾ بيّنت بالاشتمال على جميع المطالب الدينية ، مع الدلائل العقلية ﴿ قرآنًا عربيًا ﴾ بلسان عربي يتيسر فيه من جميع الفوائد ما لا يتيسر في غيره ﴿ لقوم يعلمون ﴾ مقداره ومعانيه ، أو لأهل العلم والنظر .

[٤] ﴿ بشيرًا ﴾ للعاملين به ﴿ ونذيرًا ﴾ للمعرضين عنه بخلود الأبد في نار جهنم ﴿ فأعرض أكثرهم ﴾ فلم يتدبروه ﴿ فهم لا يسمعون ﴾ أي لا يصغون له ، عتوا واستكباراً .

[٥] ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ﴾ في أغشية متكاثفة ، لا يصل إليها شيء مما تدعونا إليه ، من التوحيد وتصديق ما في هذا القرآن من الأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿ وفي آذاننا وقْر ﴾ أي صمم ، لا نسمع ذلك ، استغفالاً له وكراهية ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ فلا تواصل ولا تلاقي على ما ندعى إليه ﴿ فاعمل إنّنا عاملون ﴾ على ما ألفينا عليه آباءنا .

[٦] ﴿ قل إنّنا أنا بشر مثلكم يوحى إلينا إلهكم إله واحد ﴾ ، فاستقيموا إليه ، بالتوحيد وإخلاص العبادة ، من غير انحراف إلى الباطل والسبل المتفرقة ﴿ واستغفروا ﴾ بالتوبة من الشرك ﴿ وويل للمشرّكين ﴾ .

[٧] ﴿ الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ لا يكون أنفسهم بطاعة الله ، أو لا ينفقون من أموالهم زكاتها ﴿ وهم بالآخرة ﴾ أي بإحيائهم بعد مماتهم للمجازاة ﴿ هم كافرون ﴾ .

[٨] ﴿ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم أجر غير ممنون ﴾ غير منقوص ، أو غير محسوب .

[٩] ﴿ قل إنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ في مقدارهما ﴿ وتجعلون له أنداداً ﴾ أكفاء ﴿ ذلك ﴾ الذي خلق الأرض في يومين ﴿ رب العالمين ﴾ .

[١٠] ﴿ وجعل فيها رواسي ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ من فوقها وبارك فيها ﴾ أكثر خيرها ﴿ وقدر فيها أفواتها في أربعة أيام ﴾ [قال ابن جرير : قدر في الأرض أفوات أهلها] ﴿ سواء للسائلين ﴾ أي قدرها لهم ، أو لمن سأل عن مبلغ الأجل الذي خلق الله فيه الأرض ، وجعل فيها الرواسي والبركة وتقدير الأقوات .

[١١] ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ قصد إلى إيجادها ﴿ وهي دخان ﴾ وهي جوهر لطيف بخلاف الجواهر الكثيفة الأرضية ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينَا طائعين ﴾ .

سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴿٢﴾ كتب فصلت آياته ﴿٣﴾ قرء أنا عربياً لقوم يعلمون ﴿٤﴾ بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴿٥﴾ وقالوا قلوبنا في أكنة مما ندعونا إليه وفي آذاننا وقْر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنّنا عاملون ﴿٦﴾ قل إنّنا أنا بشر مثلكم يوحى إلينا إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروا وويل للمشرّكين ﴿٧﴾ الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كفرون ﴿٨﴾ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴿٩﴾ قل آيتكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ﴿١٠﴾ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴿١١﴾ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينَا طائعين ﴿١٢﴾

فقصن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ﴿١٣﴾ فإن عرضوا فقل أنذرتكم صيحة مثل صيحة عاد وثمود ﴿١٤﴾ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلّا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملكة فأنابما أرسلناهم به كفرون ﴿١٥﴾ فأمّا عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أنّ الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ﴿١٥﴾ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴿١٦﴾ وأمّا ثمود فهديتهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صيحة العذاب ألّهون بما كانوا يكسبون ﴿١٧﴾ ونجينّا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿١٨﴾ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴿١٩﴾ حتى إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿ فقصن سبع سموات في يومين ﴾ سموات في يومين ﴿ أحكمهن بإزالة رخاوة الدخان ﴾ وأوحى في كل سماء أمرها ﴿ ما أمر فيها ودبره من الملائكة والخلق الذي فيها ، وما لا نعلم ﴾ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴿ فإنها كالسقف المرفوع المزين بمصابيح معلقة به مما يدعو إلى الاستدلال بها على قدرة صانعها وحكمته ﴾ وحفظاً ﴿ من الشياطين أن تسترق أخبارها ﴾ ذلك تقدير العزيز العليم .

[١٣] ﴿ فإن عرضوا ﴾ عن هذا الاستدلال ، وعن الإيذان بهذا العزيز الغالب على كل شيء ، الذي اقتضى علمه ترتيب بعض الأمور ﴿ فقل أنذرتكم صيحة مثل صيحة عاد وثمود ﴾ لأنكم مثلها في العناد : مثل عاد في الاستكبار ، ومثل ثمود في استحباب العمى على الهدى . قال ابن جرير : معنى الصيحة : كل ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته ، وقيل في هذا الموضع : غني بها وقية - أي قتال - من الله وعذاب .

[١٤] ﴿ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى على الكفار ، ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم ﴿ ألا تعبدوا إلّا الله قالوا لو شاء ربنا ﴾ إرسال رسول ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ من السماء بما تدعوننا إليه ﴿ فأنابما أرسلناهم به ﴾ من عبادة الله وحده ﴿ كافرون ﴾ .

[١٥] ﴿ فأمّا عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا عاقبه ويتقى عذابه ﴾ لو تركنا عبادته ، أو عبدنا معه غيره ﴿ أو لم يروا أنّ الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ فيجب أن يحذر عقابه ويتقى عذابه ﴿ وكانوا بآياتنا ﴾ التي هي أقوى الدلائل ﴿ يجحدون ﴾ .

[١٦] ﴿ فأرسلنا عليهم ﴾ لعتوهم بالقوة ﴿ ريحاً صرصراً ﴾ شديدة الصوت في هبوبها ﴿ في أيام نحسات ﴾ مشؤومات عليهم ﴿ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ وهم لا ينصرون ﴿ في الآخرة ﴾ ، كما لم ينصروا في الدنيا .

[١٧] ﴿ وأمّا ثمود فهديتهم ﴾ بينا لهم سبيل الحق وطريق الرشد ، ونبيناهم أن يتبعوا الضلالة ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ ، فأخذتهم صيحة العذاب ألّهون بما كانوا يكسبون .

[١٨] ﴿ ونجينّا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ أي يخشون ربهم ويخافون وعيده ، وذلك بالإيمان به وحده وتصديق رسله .

[١٩] ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ فيجيء أولهم على آخرهم ، ليمت إلزام الحجة عليهم بين جميعهم ، فلا يبقى لهم مقال لأنهم لا يزالون يجادلون عن أنفسهم .

[٢٠] ﴿ حتى إذا ما جاؤوها ﴾ فبالغوا في إنكار المخالفة ﴿ شهد عليهم سمعهم ﴾ بأنهم سمعوا الحجج فأعرضوا عنها ، وسمعوا الشبه فاتبعوها ، وسمعوا الفواحش فاستحسنوها ﴿ وأبصارهم ﴾ بأنهم رأوا الآيات فلم يعتبروها ، ورأوا القبائح فاختراروها ﴿ وجلودهم ﴾ بأنهم باشروا المعاصي ، فوصل أثرها إلى القوة اللامسة منهم ، فيشهد كل عضو وكل جزء ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ .

وَقَالُوا الْجُلُودُ هُمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَاَلْتَارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا يَنْهَوْنَ عَنْهَا وَأَنَّا نَبْتَلِيهِمْ أَفْهَمُوا لِقَوْلِ رَبِّهِمْ أَفْهَمُوا قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَاتُحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

[٢١] ﴿وَقَالُوا الْجُلُودُ هُمْ﴾ المدركة ألم العذاب الذي لا يدركه السمع ولا البصر ﴿لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا﴾ بما يوجب إيلامكم ؟ ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾ بهذه الشهادة الذي أنطق كل شيء ﴿أنطق كل شيء من الحيوان ، فهو من العام الذي خصه العقل . وقيل المراد ظهور علامات على الأعضاء دالة على ما كانت متلبسة به في الدنيا بتغير أشكالها ونحوه ، مما يلهم الله من رآه أنه صدر عنه ذلك ، لارتفاع الغطاء في الآخرة ، فالنطق مجاز عن الدلالة ﴿وهو خلقكم أول مرة ، وإليه تُرجعون﴾ لأن القادر على الخلق أول مرة ، قادر على إنطاق كل شيء .

[٢٢] ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ وما كنتم تستترون عند فعلكم الفواحش والمنكرات ، مخافة أو كراهة أن يشهد عليكم ما ذكر ، أي ليس استتارهم للخوف مما ذكر ، بل من الناس ﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ ما ظننتم أن الله يعلم فينطق الجوارح ، ولكن ظننتم أنه لا يعلم كثيراً ، وهو ما عملتم خفية .

[٢٣] ﴿وذليكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أزداكم﴾ أهلككم بالجرأة على مخالفتي في الدنيا ، ومجادلتي في القيامة ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ لأعمال النجاة والدرجات في الآخرة .

[٢٤] ﴿فإن يصيروا فالتار مثنوى لهم﴾ أي منزل ومسكن ﴿وإن يستعجبوا﴾ وإن يسألوا

العتبي ، وهي الرجعة إلى الذين يحبون ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي المجابين إليه ، فلا يخفف عنهم العذاب .

[٢٥] ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾ بعثنا لهم نظراء من الشياطين اقترنوا بهم ﴿فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ فحسنوا لهم أعمالهم كلها ، الحاضرة والمستقبلية ﴿وحق عليهم القول﴾ في القضاء الإلهي ، بالشقاء الأبدي ﴿في أمم قد خلت من قبلهم﴾ من المكذبين بأنبيائهم ، الضالين المضلين ﴿من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ .

[٢٦] ﴿وقال الذين كفروا﴾ ستروا زينة أدلة القرآن عن أتباعهم ، ثم زينوا لهم شبهاتهم الواهية ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن﴾ إذا قرأه ، ولا تصغوا له ، كيلا يؤثر عليكم وعظه ﴿والغوا فيه﴾ اتوا باللغو عند قراءته ليختلط ، فلا يمكنه القراءة ، والمراد باللغو: ما لا أصل له ، أو ما لا معنى له ﴿لعلكم تغلبون﴾ تصدّون من أراد سماعه ، عن استماعه ، فلا يسمعه .

[٢٧] ﴿فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ، ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ .

[٢٨] ﴿ذلك جزاء أعداء الله النار﴾ هم فيها دار الخلد ﴿أي المكث الأبدي﴾ جزاء بما كانوا بآياتنا ينجذون ﴿أي ينكرون أو يلغون﴾ .

[٢٩] ﴿وقال الذين كفروا ربنا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَاتُحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي ندوسها انتقاماً منها ﴿ليكونوا من الأسفلين﴾ وأرادوا أن يشفوا صدورهم برؤيتهم في أسوأ أحوالهم ، وأنزل مراتبهم ، كما ترى من وقع في البلية ، بسبب رفيق أشار إليه بما أوقعه فيها ، يتخزّد عليه ويتغيظ ، ويكاد أن يقع فيه مع غيبته ويتحرّق .

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي وحدوه بنفي غيره ﴿ثم استقاموا﴾ في أخلاقهم وعقائدهم وأعمالهم [عن مجاهد قال : هم الذين قالوا ربنا الله ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به - ابن جرير] ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ في الدنيا ، بإلهامهم ، أو عند الموت ، أو حين البعث ﴿ألا تخافوا﴾ ما تقدمون عليه بعد مماتكم ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما خلفتم من دنياكم ، من أهل وولد ، فإننا نخلفكم في ذلك كله ، أو من الفزع الأكبر وهو له ، فإنكم آمنون ﴿وأنبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ في الدنيا ، حال الإيمان بالغيب .

[٣١] ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أي أحباؤكم في الدارين ، للتناسب بيننا وبينكم ، كما أن الشياطين أولياء الكافرين ﴿ولكم فيها﴾ أي في الآخرة ﴿ما تشتهي أنفسكم﴾ من الروح والريحان والنعيم المقيم ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ تتمنون .

[٣٢] ﴿نزلنا من غفور رحيم﴾ إكراماً معداً لكم ، من غفور لذنوبكم ، ورحيم بتفضله وتطوله .

[٣٣] ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ أي لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى ، وكان من الصالحين المؤتمرين ، والمسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد . [قال ابن جرير : واختلف أهل العلم في الذي أريد بهذه الصفة من الناس ، فقال بعضهم عني بها نبي الله ﷺ ، وقال آخرون : عني به المؤذن] .

[٣٤] ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ لكون الأولى من مقام العقل تجر صاحبها إلى الجنة ومصاحبة الملائكة ، والثانية من مقام النفس تجر صاحبها إلى النار ومقارنة الشياطين ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ ادفع السيئة بأحسن ما يمكن دفعها من الحسنات ، لأن من دفع بالأحسن هان عليه الدفع بما دونه ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ أي هذه الخلصة الشريفة ، وهي مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿إلا الذين صبروا﴾ على تجرّج الشدائد ، أو على طاعته تعالى وأمره ﴿وما يلقاها﴾ إلا ذو حظ عظيم ﴿من الخير وكال النفس﴾ .

[٣٥] ﴿وما يزلغها﴾ من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴿وإما يزلغتك﴾ من الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة والانتقام منه ، فاستعز بالله واعتصم من خطواته .

[٣٦] ﴿ومن آياته﴾ أي حججه تعالى على خلقه ، ودلالته على وحدانيته وعظيم سلطانه ﴿الليل والنهار﴾ في اختلافها ، ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه ﴿والشمس والقمر﴾ أي : نورهما وإشراقهما وتقدير منازلها ، واختلاف سيرهما في سائرهما ، لبقاء صلاح الكون ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾ لأنها مسخران بتسخير خالق قادر ، فهما مخلوقان ﴿واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ إن كنتم إياه تعبدون ﴿أي تفردونه بالعبادة ، فإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة ، ولا تشركوا في طاعته أحداً﴾ .

[٣٨] ﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك﴾ من الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ لا يملون عبادته .

[٣٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي ساكنة لا حركة لعشب فيها ولا نبات ولا زرع ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ اهتزت بالنبات وتحركت بزيتها ، وربت بارتفاعه على سطحها ، أي صارت ربوة مرتفعة ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ فأخرج منها النبات ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتِ ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . [عن السدي قال : كما يحيي الأرض بالمطر ، كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفتين - ابن جرير .]

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يميلون عن حجبتنا وأدلتنا ، ويزيغون عنها تكديباً بها وجحوداً لها ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ لإحاطة علمه بهم ، وكونه بالمرصاد لهم ، فيسجزئهم ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

[٤١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ أي بهذا القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ فهم هالكون . فالخبر محذوف ، أو الجملة بدل من جملة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ وإنه لكتاب عزيز ﴿منيع محمي عن التغيير والتبديل ، وعن محاكاته بنظير .

[٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ لا يتطرق إليه البطلان من جهة من الجهات [عن قتادة قال : إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقاً ولا يزيد فيه باطلاً - ابن جرير] ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده وصرافهم فيما فيه مصالحهم ، محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم .

[٤٣] ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ، أي فاصبر كما صبروا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم بالصفح عنهم ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لمن أصر على كفره وذنوبه ومات قبل التوبة منها .

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي بُيِّنَتْ أدلته وما فيه بلسان نعرفه لفهم ما فيه ﴿الْأَعْجَمِيَّةُ وَعَرَبِيَّةُ﴾ الهمزة همة الإنكار ، يعني : لأنكروا وقالوا : أقرآن أعجمي ورسول عربي ؟ أو مرسل إليه عربي ؟ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ هو للمؤمنين بالغيب هداية تهديهم إلى الحق ، وشفاء يزيل أمراض قلوبهم من الرذائل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ لا يسمعون ولا يفهمونه ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وجعل النداء من مكان بعيد تفضيحاً لهم .

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَخْتَلَفَ فِيهِ﴾ فاختلف في العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي لولا أنه تعالى قدر الجزاء في الآخرة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بتعجيل العذاب ﴿وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ موقع للريب والاضطراب لأنفسهم وأتباعهم لعمي بصائرهم وتبليد عقولهم ، وإلا فالحق أجلى من أن يخفى .

[٤٦] ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ من عمل بطاعة الله فائتمر لأمره وانتهى عما ناه فلنفسه نفعه ، لأنه يجازى عليه جزاء الحسن ﴿وَمَنْ أَسَاءَ﴾ أي عمل السيء وعصى ﴿فَعَلَيْهَا ضَرُّهُ﴾ ، لأنه جنى على نفسه بذلك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ لا يعاقب أحداً إلا بذنبه .

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا كُشِفْنَا عَنْهُ غُطَّتْ غَيْبَتُهُ فَعَمِيَ ﴿٤٩﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا كُشِفْنَا عَنْهُ غُطَّتْ غَيْبَتُهُ فَعَمِيَ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ أَئِتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٥٤﴾

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٤٧﴾ وهو تخليدهم في النار . [٤٨] ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ إذا كشفنا ما به من ضرر ، ورزقناه غنى وصحة وسعة ، أعرض عما دُعي إليه من الطاعة ، وتكبر وشمخ بأنفه عن الإجابة ﴿وَإِذَا كُشِفْنَا عَنْهُ غُطَّتْ غَيْبَتُهُ فَعَمِيَ﴾ أي كثير ، ويستغرق في الابتهاال أنفاسه ، وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ، كما يستعار له الطول أيضاً .

[٤٩] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ من غير نظر واتباع دليل ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي من أضل منكم ؟ والشقاق : الخلاف .

[٥٠] ﴿سَنُرِيهِمْ أَئِتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ يعني وقائع النبي ﷺ بنواحي بلد المشركين أهل مكة وأطرافها وظهوره على الناس تصديقاً للوعد ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ كما وقع في بدر وفتح مكة ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أي أن هذا القرآن بوعده ووعيده هو الحق الثابت ، إذ لا برهان بعد عيان ، فقد نصر الله رسوله وصحبه ، وخذل الباطل وحزبه ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يخفى عليه شيء مما يفعل خلقه ، وهو مجازيهم عليه .

[٥١] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أي في شك عظيم من البعث بعد الممات ومعادهم إلى ربهم ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ فلا يخرج عن إحاطته شيء .

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لا يعلمها إلا هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي أوعيتها ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي مقروناً بعلمه ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَائِي﴾ الذين كنتم تشركونهم في عبادتي ﴿قَالُوا أَذُنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أعلمناك ما منا من يشهد لهم بالشركة ويقربها الآن . ونفي الشهادة كناية عن التبرؤ منهم ، أو هو منهم إنكار لعبادتها ، فيكون كذباً .

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ، فلم تنفعهم ولم تدفع عنهم شيئاً ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ وطلوا ما لهم من محيص ، وأيقنوا يومئذ ما لهم من ملجأ يلجؤون إليه من عذاب الله .

[٤٩] ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ لا يمل من مسألته ربه بالخير ، كالمال وصحة الجسم ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أي الضرر في نفسه من سقم أو جهد في معيشته ﴿فِيُؤْوسُ قَنُوطٌ﴾ من روح الله ورحمته . والقنوط : أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر .

[٥٠] ﴿وَلِئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ﴾ بتفريجها عنه ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي حقى نلته بعمل لا بفضل من الله ، جحداً للنعمة ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلِئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ إن لي عنده للحنسني ﴿أَيَّ الْحَالَةِ الْحَسَنَى مِنَ الْكَرَامَةِ ، تَحَرُّصاً وَرَجَاءً بِالْغَيْبِ ، وَتَلَاَعِباً بِمَا شَاءَ الْهُوَى﴾ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ فلنخبرن هؤلاء المتمنين على الله الأباطيل ، بحقيقة أعمالهم ، ولنبرهنهم عكس ما اعتقدوا فيها

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٤٧﴾ وهو تخليدهم في النار . [٥١] ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ إذا كشفنا ما به من ضرر ، ورزقناه غنى وصحة وسعة ، أعرض عما دُعي إليه من الطاعة ، وتكبر وشمخ بأنفه عن الإجابة ﴿وَإِذَا كُشِفْنَا عَنْهُ غُطَّتْ غَيْبَتُهُ فَعَمِيَ﴾ أي كثير ، ويستغرق في الابتهاال أنفاسه ، وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ، كما يستعار له الطول أيضاً .

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ من غير نظر واتباع دليل ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي من أضل منكم ؟ والشقاق : الخلاف .

[٥٣] ﴿سَنُرِيهِمْ أَئِتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ يعني وقائع النبي ﷺ بنواحي بلد المشركين أهل مكة وأطرافها وظهوره على الناس تصديقاً للوعد ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ كما وقع في بدر وفتح مكة ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أي أن هذا القرآن بوعده ووعيده هو الحق الثابت ، إذ لا برهان بعد عيان ، فقد نصر الله رسوله وصحبه ، وخذل الباطل وحزبه ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يخفى عليه شيء مما يفعل خلقه ، وهو مجازيهم عليه .

[٥٤] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أي في شك عظيم من البعث بعد الممات ومعادهم إلى ربهم ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ فلا يخرج عن إحاطته شيء .

[سورة الشورى]

سميت بالشورى لإشعار آياتها بذلة الدنيا وعزة الآخرة وصفات طالبيها ، مع اجتتماع قلوبهم بكل حال . وهي مكية . وقيل إن فيها مديناً . وعدد آياتها ثلاث وخمسون آية .

[١] حم .

[٢] عسق . سبق الكلام على الحروف المقطعة أوائل السور في سورة البقرة .

[٣] كذلك يُوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم . كلام مستأنف ، واد ل تحقيق أن مضمون السورة موافق لما في سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق .

[٤] له ما في السموات وما في الأرض ، وهو العلي العظيم .

[٥] تكاد السموات يتفطرن من فوقهن . يتشققن لتأثرهن من تجليات عظمته ، ويتلاشين من علو قهره وسلطنته . والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض . يسألون المغفرة لذنوب من في الأرض من المؤمنين به . ألا إن الله هو الغفور الرحيم .

[٦] والذين اتخذوا من دونه أولياء . أي شركاء وأنداداً . الله حفيظ عليهم . رقيب على أفعالهم يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها يوم القيامة . وما أنت عليهم بوكيل . لست بموكل لحفظ أعمالهم ، وإنما أنت منذر .

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ﴿١﴾ عسق ﴿٢﴾ كذلك يُوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴿٣﴾ له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم ﴿٤﴾ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴿٥﴾ والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذريوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿٦﴾ ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ﴿٧﴾ أرأيتكم لو اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴿٨﴾ وما أخلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب ﴿٩﴾

فاتر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً . ومن جنسكم أزواجاً . نساء . ومن الأنعام أزواجاً . أصنافاً مختلفة ، أو ذكوراً وإناثاً . يذروكم فيه . أي يكثرهم ، من الذرة وهو البث ، وضمير فيه للطن أو الرحم . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . ليس كصفته صفة . والمراد من مثله ذاته .

[١٢] له مقاليد السموات والأرض . أي مفاتيح الأرزاق وخزائن الملك والملكوت . يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . ويقتر على آخرين . إنه بكل شيء عليم .

[١٣] شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . المعنى : شرع لكم من الدين ما وصى به جميع الأنبياء من عهد نوح عليه السلام إلى زمن نبينا ﷺ [عن قتادة قال : الحلال والحرام - ابن جرير] والتعبير عنها بالتوصية فيهم والوحي له للإشارة إلى أن شريعته ﷺ هي الشريعة الكاملة . كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . من إخلاص العبادة لله وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الأوثان . الله يجتبي إليه من يشاء . وهو من صرف اختياره إلى ما دعي إليه . ويهدي إليه من ينيب . يوفق للعمل بطاعته واتباع رسله من يقبل إلى طاعته ويتوب من معاصيه .

[١٤] وما تفرقوا . الآية إشارة إلى حال أهل الكتاب إذ تفرقوا في دينهم وصاروا شيعاً . إلا من بعد ما جاءهم العلم . أي الدلائل الصحيحة والبراهين اليقينية على حقية ما لديهم . نغياً بينهم . ظلماً وتعدياً وطلباً للرئاسة . ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى . وهو تأخير العذاب إلى يوم القيامة . لقضي بينهم . باستصالحهم ، لاستيجاب جناباتهم . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم . وهم أهل مكة الذين من الله عليهم بالكتاب العزيز . لنفي شك منه مريب . موقع لأتباعهم في الشك ، لكثرة ما يثبونه من الوسواس الصادة عن سبيل الله . [١٥] فلذلك فادع . فلأجل ما ذكر من التفرق والشك المريب ، فادع الناس كافة إلى إقامة الدين لمقاومة الباطل ودحره ، وهتك وساوسه . واستقم . على الدعوة إليه والصدع به . كما أمرت . كما أوحى إليك . ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب . أي كتاب كان ، لا كالذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض . وأمرت لأعدل بينكم . أي لأسوي بينكم في دعوة واحدة . وعن قتادة : أمر النبي ﷺ أن يعدل حتى مات . والعدل ميزان الله في الأرض ، به يأخذ للمظلوم من الظالم ، وللضعيف من الشديد ، وبالعدل يصدق الله الصادق ويكذب الكاذب [قال ابن جرير : ذكر لنا أن نبي الله داود عليه السلام كان يقول : ثلاث من كن فيه أعجبني جداً : القصد في الفاقة والغنى ، والعدل في الرضا والغضب ، والخشية في السرور والعلانية] . الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم . لا خصومة ولا محاجة بعد هذا ، لأن الحق قد ظهر ، ولم يبق للمخالفة محل سوى المكابرة . الله يجمع بيننا يوم القيامة فيقضي بالحق فيما اختلفنا فيه . وإليه المصير . أي المعاد والمرجع للجزاء . قال ابن كثير : اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التي قبلها ، حكم برأسها ، قالوا : ولا نظير لها إلا آية الكرسي ، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه .

[٧] وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى . أي أهلها ، وهي مكة . ومن حولها . من العرب وسائر الناس . وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه . يوم القيامة الذي تكون فيه الفضيحة أعظم ، لأنه يجمع فيه الخلاق . فريق في الجنة . وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله ﷺ . وفريق في السعير . أي النار الموقدة المسعورة على أهلها ، وهم الذين كفروا بالله وخالفوا ما جاءهم به رسوله .

[٨] ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة . أي أهل دين واحد وملة واحدة . ولكن يدخل من يشاء في رحمته . ولكن لم يفعل ذلك فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ، فأدخل من شاء في رحمته وهم المؤمنون ، وفي عذابه ، وهم الكافرون . والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير . والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة ، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله فينقذهم من عذابه .

[٩] أم اتخذوا من دونه أولياء . يتولونهم مع أنه لا ولاية لهم في الحقيقة ، إذ لا قدرة ولا قوة . فالله هو الولي . هو الذي يجب أن يتولى وحده ، ويعتقد أنه المولى والسيد دون غيره لتوليه سبحانه كل شيء وسلطانه وحكمه . وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير . هو المحيي القادر فكيف تستقيم ولاية غيره .

[١٠] وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله . أي : إن ما اختلف فيه المختلفون وتنازعوا في شيء من الخصومات يجب أن يكون التحاكم فيه إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . ذلكم الله ربى . أي : الذي هذه الصفات صفاته ، هو ربى لا أفتكم التي تدعون من دونه ، التي لا تقدر على شيء . عليه توكلت . في أموري كلها . وإليه أنيب . أي أرجع في المعاد ، أو من الذنوب ، أو في الأمور المعضلة .

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جَحِشُهُمْ دَاخِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَإِلَّا إِنْ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي يخاضعون في دينه الذي ابتعث به خاتم أنبيائه ، وهم الذين أوردوا الكتاب ، المذكورون من قبل ﴿مَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ﴾ أي استجاب الناس ، بالاستسلام والانقياد لدينه حسبما قادهم إليه العقل السليم والنظر الصحيح وسيرة الداعي وهديه وحسن دعوته وتصديق الكتب المنزلة له ، وسلامة الفطرة ﴿حُجَّتُهُمْ دَاخِضَةً﴾ زائلة لأنها في باطل ، والباطل لا بقاء له مع قوة الحق ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في حكمه وقضائه وتقديره [عن قتادة قال : هم اليهود والنصارى ، قالوا : كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم - ابن جرير] ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ عظيم ، لما بررتهم الحق بعد ظهوره ﴿وَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وهو عذاب النار .

[١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متلبساً به في أحكامه وأخباره ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وأنزل الميزان ، وهو العدل الذي يوزن به الحقوق ويسوي به الخلاف ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ أي شيء قريب ، أو قريب مجئها ، أو الساعة بمعنى البعث ، فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي تُوزَنُ فيه الأعمال ويوقى جزاؤها .

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ خائفون منها لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ المتحقق وجوده لا محالة ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ لإنكارهم عدل الله وحكمته . والامتراء في الشيء الشك فيه .

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ في تدبير إصبال ما يفتقرون من خير الدين والدنيا ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهو القوي العزيز .

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ مَنْ عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسنته ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ ومن كان عمله للدنيا أعطي شيئاً منها ، لا ما يريده ويتغيه ، وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه ، وما له نصيب قط في الآخرة . [وفي الحديث : (بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة والنصر ، والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب - ابن كثير) .

[٢١] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ أم منقطعة ، فيها معنى بل والهمزة ، والمراد بشركائهم إما شياطينهم لأنهم شاركوهم في الكفر وحملوهم عليه ، وإما أوثانهم . ويجوز كون الاستفهام المقدر حينئذ للإنكار ، أي ليس لهم شرع ولا شارع ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي القضاء السابق بأن الجزاء في القيامة لا في الدنيا ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لفرغ من الحكم بين الكافرين والمؤمنين بتعجيل العذاب للكافرين ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم البعث ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ من السيئات وهو واقع بهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ .

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من خير أو شر ، وهو مجازيكم عليه .

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشيهم على طاعتهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مَنَّه منه وطولاً ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ . [٢٧] ﴿لَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي تجاوزوا الحد الذي حده لهم إلى غيره ، بركوبهم ما حظره عليهم ﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ ولكن ينزل من رزقه ما يشاءه بقدر ، لكفائتهم ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ . [عن عمرو بن حريث وغيره يقولون : إنها أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة ، ذلك بأنهم قالوا : لو أن لنا ، فتمنوا - ابن جرير] .

[٢٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ الغيث : المطر ، والقنوط : اليأس [عن قتادة أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : أجذبت الأرض وقنط الناس ، قال : مطروا إذن - ابن جرير] ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ أي بركات الغيث ومنافعه وآثاره من الخصب والرخاء ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الذي يتولى الخلق بإحسانه ، والمحمود على أباديه عليهم .

[٢٩] ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ وهو على جميعهم ﴿أَي حشرهم يوم القيامة﴾ إذا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿مَتَمَكَّنْ مِنْهُ﴾ لا يتعذر عليه وإن تفرقت أوصالهم .

[٣٠] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فسبب معاصيكم وما اجترتم من الآثام ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ من الذنوب فلا يعاقب عليها . [٣١] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ إذا أراد عذابكم ، فاتقوه واخشوه .

[٢٣] ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿لَا﴾ أسألكم على ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به ثواباً وجزاء وعوضاً من أموالكم تعطونه ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي أن تودوني في القرابة التي بيني وبينكم ، وتصلوا الرحم التي بيننا ، ولا يكن غيركم ، يا معشر قريش ، أولى بحفظي ونصرتي ومودتي منكم . عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال سعيد بن جبير : القرى آل محمد ، فقال ابن عباس : عجلت ، إن النبي ﷺ ، لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال (إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة) ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ أي يكتسب طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ بمضاعفته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب وأناب ﴿شَكُورٌ﴾ لسعيهم بتضعيف جزاء حسنته .

[٢٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بدعوى النبوة والوحي ﴿فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يطع على قلبك ، ويسلبك ما كان آتاك من القرآن ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ استئناف مقرر لنفي الافتراء عما يقوله ﷺ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ إن الله عليم بما في صدوركم وصدورهم ، فيجري الأمر على حسب ذلك .

[٢٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ يقبل رجوعه إذا رجع توحيد الله وطاعته ، من بعد كفره ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ يعفو معاصيه التي تاب منها



[٣٢] وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ السَّفِينُ الْجَارِيَةُ
كَالْأَعْلَامِ .

[٣٣] إِنَّ يَسَاءَ يَسْكُنِ الرِّيحَ فَيُظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى
ظَهْرِهِ . فَيَقِينُ ثَوَابَ عَلَى ظَهْرِ الْبَحْرِ . [إِنَّ فِي ذَلِكَ] فِي
جَرِي هَذِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ . [آيَاتٍ] لَعِبْرَةٌ وَعِظَةٌ
وَحِجَّةٌ بَيِّنَةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ . [لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ]
لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَإِلْيَانٍ نَصْفَانِ : نَصْفٌ صَبْرٍ ، وَنَصْفٌ
شُكْرِ .

[٣٤] أَوْ يُؤْفَكُ . يَهْلِكُهُنَّ بِالْغَرَقِ . بِمَا كَسَبُوا
وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ .

[٣٥] وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا . أَيُّ مَخَاصِمُونَ
الرَّسُولَ فِي آيَاتِهِ عَلَى تَوْحِيدِهِ . مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ . مَا
لَهُمْ مِنْ مَحِيدٍ عَنْ عَذَابِهِ .

[٣٦] فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ . مِمَّا زَيْنَ لِلنَّاسِ حِبَهُ مِنْ
الشَّهَوَاتِ . فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . فَهُوَ مَتَاعٌ لَكُمْ ،
تَمْتَعُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ مِنَ الْآخِرَةِ . وَمَا عِنْدَ اللَّهِ .
مِنْ ثَوَابِ الْآخِرِيِّ . خَيْرٌ وَأَبْقَى . وَذَلِكَ لَخُلُوصِهِ عَنْ
الشَّوَابِ وَدَوَامِهِ . لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . فِي
أُمُورِهِمْ وَقِيَامِهِمْ بِأَسْبَابِهِمْ .

[٣٧] وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . يَصْفَحُونَ عَنْ أَسَاءِ إِلَيْهِمْ .

[٣٨] وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ . حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى
تَوْحِيدِهِ ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ . وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ . لَا يَنْفَرُونَ بِرَأْيِ حَتَّى يَتَشَاوَرُوا
وَيَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ . وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . [قَالَ ابْنُ

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ . [٣٢] إِنَّ يَسَاءَ يَسْكُنِ الرِّيحَ
فَيُظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ . [إِنَّ فِي ذَلِكَ] لَأَيَّتَ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
[٣٣] أَوْ يُؤْفَكُ . بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ . [٣٤] وَيَعْلَمُ الَّذِينَ
يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ . [٣٥] فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ . [٣٦] وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . [٣٧] وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . [٣٨] وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ . [٣٩] وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . [٤٠] وَلَمَنْ أَنْصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . [٤١] إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ . [٤٢] وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
[٤٣] وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ . وَتَرَى الظَّالِمِينَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ . [٤٤]

جَرِيرٍ : وَمِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيُؤَدُّونَ مَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ لِأَهْلِهَا مِنْ زَكَاةٍ وَنَفَقَةٍ عَلَى مَنْ تَجِبَ عَلَيْهِمْ نَفَقَتُهُ .

[٣٩] وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ . بِالْعَدَالَةِ مَنْ بَغَى عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَدُوا .
[٤٠] وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا . وَجَزَاءُ سَيِّئَةِ الْمَسِيءِ مَا مِثْلُهَا ، إِذَا النِّقْصَانُ حَيْثُ وَالزِّيَادَةُ ظِلْمٌ . فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمِهِ بِالْعَفْوِ
وَالِإِغْضَاءِ . فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ . فَتَوَابُهُ عَلَيْهِ . إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . الْبَادِئِينَ بِالسَّيِّئَةِ وَالْمُعْتَدِينَ فِي الْإِنْتِقَامِ .

[٤١] وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ . بَعْدَ مَا ظَلَمَ . فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . وَمَنْ أَخَذَ حَقَّهُ مَنْ وَجِبَ ذَلِكَ لَهُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَتَعَدَّ وَلَمْ يَظْلَمْ ، فَكَيْفَ
يَكُونُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ ؟ .

[٤٢] إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ . يَبْذُرُهُمْ بِالظُّلْمِ وَالْإِضْرَارِ ، أَوْ يَعْتَدُونَ فِي الْإِنْتِقَامِ . وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ . يَتَكَبَّرُونَ فِيهَا
وَيَفْسِدُونَ . أُولَئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ . بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ .

[٤٣] وَلَمَنْ صَبَرَ . عَلَى الْأَذَى . وَغَفَرَ . لِمَنْ ظَلَمَهُ وَلَمْ يَنْتَصِرْ . إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . الَّتِي نَدَبَ اللَّهُ عِبَادَهُ ، وَعَزَمَ عَلَيْهِمُ الْعَمَلَ بِهَا .

[٤٤] وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَنْ خَذَلَهُ عَنِ الرَّشَادِ ، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَلِيٍّ يُلِيهِ ، فِيهِدِيهِ لِسَبِيلِ الصَّوَابِ ، وَيَسُدُّهُ مِنْ بَعْدِ
إِضْلالِ اللَّهِ إِيَّاهُ . وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ . أَيُّ رَجْعَةٍ إِلَى الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ اسْتِعْتَابَ مِنْهُمْ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ .

وَتَرَبُّهُمْ يَعْزُّونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ
مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ . وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ . أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ . [٤٥] وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ . وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ . [٤٦] اسْتَجِيبُوا
لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ . [٤٧] فَإِنْ أَعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا . إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ . وَإِنَّا إِذَا
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّهَا وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ . فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ . [٤٨] لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ . يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ . [٤٩] أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا
وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا . إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ . [٥٠] وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا . فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ . إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ . [٥١]

[٤٥] وَتَرَبُّهُمْ يَعْزُّونَ عَلَيْهَا . أَيُّ النَّارِ . خَاشِعِينَ
مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ . مِنْ طَرَفٍ قَدْ
خَفِيَ ذُلُّهُ وَصَغَارُهُ . وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ . بِالْتَّعْرِضِ
لِلْعَذَابِ الْمَخْلُودِ ، وَتَفْوِيتِ النِّعَمِ الْمُؤَبَّدِ . [عَنِ السَّيِّدِ
قَالَ : غَنَبُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ فِي الْجَنَّةِ - ابْنُ جَرِيرٍ]
[٤٦] أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ . [عَلَيْهِمْ] ، ثَابِتٌ لَا
يَزُولُ عَنْهُمْ وَلَا يَبِيدُ وَلَا يَخْفُ ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ .

[٤٧] وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ . [قَالَ ابْنُ
جَرِيرٍ : وَلَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ حِينَ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَوْلِيَاءَ يَمْنَعُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَا يَنْتَصِرُونَ لَهُمْ
مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى مَا نَالَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَنْ
يُخَذِّلُهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَمَا لَهُ مِنْ طَرِيقٍ إِلَى الْوَصُولِ إِلَيْهِ
لَأَنَّ الْهُدَايَةَ وَالْإِضْلالَ بِيَدِهِ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاهُ] .

[٤٨] اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ . أَجِيبُوا أَيُّهَا النَّاسُ دَاعِيَ
اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ . [مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ]
لَا يَرِدُهُ اللَّهُ بَعْدَ مَا حَكَمَ بِهِ ، أَوْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ يَوْمٌ مِنَ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ رُدُّهُ . مَا لَكُمْ مِنْ
مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ . أَيُّ انْكَارٍ لِمَا
اقْتَرَفْتُمُوهُ لِأَنَّهُ مُحَصَّيٌّ عَلَيْكُمْ .

[٤٩] فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا . رَقِيبًا
تَحْفَظُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَتَحْصِيهَا . [إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ]
إِبْلَاغُهُمْ مَا أُرْسَلْتَ بِهِ ، فَإِذَا فَعَلْتَ فَقَدْ قَضَيْتَ مَا
عَلَيْكَ . وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّهَا وَإِنْ

تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ . فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ . أَيُّ جُحُودٍ نَعَمَ رَبِّهِ فَلَا يَذْكُرُ إِلَّا الْبُؤْسَ وَالْبَاءَ ، وَلَا يَتَفَكَّرُ إِلَّا فِيَمَا أَنْزَلَهُ بِهِ مِنَ الْفَسَادِ وَالشَّقَاءِ .
[٤٩] لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ . يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ . لَيْسَ فِيهِمْ أُنْثَى .

[٥٠] أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا . يَجْعَلُ أَوْلَادَ مَنْ يَشَاءُ ذُكْرًا أَوْ إِنثًا مَزْدُوجِينَ [بِأَنَّ تِلْدَ الْمَرْأَةِ ذُكْرًا مَرَّةً وَأُنْثَى مَرَّةً ، أَوْ يَجْعَلُ فِي الْوَاحِدِ ذُكْرًا وَأُنْثَى تَوَامًا]
وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا . لَا نَسْلَ لَهُ . [إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ] . إِنَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ أَحْوَالَ الْعِبَادِ فِي الْأَوْلَادِ مُخْتَلِفَةً عَلَى مَقْتَضَى الْمَشِيئَةِ . وَتَقْدِيمَ الْإِنثَاتِ إِمَّا لِأَنَّهَا
أَكْثَرُ لِكَثْرَةِ النَّسْلِ ، أَوْ لِتَطْيِيبِ قُلُوبِ آبَائِهِمْ تَنْبِيْهُاً بِأَنَّهُنَّ سَبَبُ لِكَثْرَةِ مَخْلُوقَاتِهِ فَلَا يَجُوزُ الْحَزَنُ مِنْ وَلَادَتِهِمْ وَكَرَاهَتِهِمْ ، كَمَا يُشَاهَدُ مِنْ بَعْضِ
الْجَهْلَةِ ، وَمِنْ يُؤْمِنُ الْمَرْأَةَ تَبْكِيهَا بِأُنْثَى .

[٥١] وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا . أَيُّ إلهَامًا ، وَقَدْفًا فِي الْقَلْبِ مِنْهُ ، بِلَا وَسْطَةٍ . أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ . يُكَلِّمُهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ
وَلَا يَرَاهُ ، كَمَا كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا . مِنْ مَلَائِكَتِهِ كَجِبْرِيلَ . فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ . فَيُوحِي ذَلِكَ الرَّسُولَ إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِ ، مَا يَشَاءُ إِيجَاهًا ، مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، عَلَى سَبِيلِ الْإِقْلَاءِ وَالنَّفْثِ فِي الرُّوحِ وَالْإِلْهَامِ ، أَوْ الْهَتَافِ فِي الْمَنَامِ . [إِنَّهُ عَلِيٌّ] . مِنْ أَنْ يُوَاجِهَ
وَيُخَاطَبَ ، أَيْ لَا يَبْلُغُ الْبَشَرَ حَدَّ مَكَالَتِهِ شَفَاهَاً ، وَلَا يَحْتَمِلُ سِيَاحَ كَلَامِهِ مَعَ رُؤْيَاهُ . [حَكِيمٌ] . فِي تَبْلِيغِ كَلَامِهِ الْعَلِيِّ إِلَى الْبَشَرِ الضَّعِيفِ [وَذَلِكَ أَنَّ
الْيَهُودَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَلَا تَكَلِّمُ اللَّهَ وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا كَمَا كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ ؟ فَإِنَّا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْعَلَ ذَلِكَ] . فَقَالَ ﷺ :
[لَمْ يَنْظُرْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ] . وَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ - النِّسَابُورِيُّ .

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وكذلك ﴿مثل ذلك الإيحاء على الطرق الثلاثة﴾ ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ روحاً من أمرنا ، وسأه روحاً لأنه تحيا به القلوب الميتة . وقيل : هو جبريل . والمعنى : أرسلناه إليك بالوحي ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾ أي الروح أو الإيمان ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾ بالتوفيق للقبول والنظر فيه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ . [عن السدي قال : يقول جل ثناؤه ، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وهو الإسلام ، طريق الله الذي دعا إليه عباده ، الذي له ملك جميع ما في السموات والأرض لا شريك له في ذلك - ابن جرير .]

[٥٣] ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ أي في الآخرة ، فيقضي بينهم بالعدل إذ لا حاكم سواه ، فيجازي كلًّا بما يستحقه من ثواب أو عقاب .

[سورة الزخرف]

سميت بالزخرف لدلالة آياتها على أن الدنيا في غاية الخساسة في نفسها ، وغاية العداوة مع ربها ، بحيث لا تليق بالأصالة إلا لأعدائه . وهي مكية . وقيل إلا الآية ٤٥ . وعدد آياتها تسع وثمانون آية .

[١] ﴿حَمِّمْ﴾ سبق الكلام على الأحرف المقطعة في أوائل السور ، وأنها أسماء للسور .

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قسم بالقرآن الكريم الواضح الآيات والدلالات .

[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تفهموا معانيه ومواظمه .

[٤] ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ أم الشيء : أصله ﴿لَدَيْنَا لَعَلِّي﴾ رفيع القدر ، بحيث لا رفعة وراءها ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو الحكمة الجامعة .

[٥] ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ أنهلكم ونصرف عنكم الذكر [قال ابن جرير : هذا وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك ، إذ سلخوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسوهم مسلوك الماضين قبلهم] ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ لإسرافكم . وإنما كانت الحاجة إلى الذكر للإسراف ، إذ لو كانوا على السيرة العادلة والطريقة الوسطى لما احتيج إلى التذكير .

[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ .

[٧] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ .

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي قوة ﴿وَمُضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ فليتوقع هؤلاء المستهزون من العقوبة مثل ما حل بأسلافهم .

[٩] ﴿وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ .

[١٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ مهاداً تستقرون عليها ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا صُبُلًا﴾ طرقاً تتطرقونها من بلدة إلى بلدة ، لمعايشكم ومتاجرهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بتلك الطرق إلى حيث أردتم من القرى والأمصار .

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنسَانِ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَانَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَن يَنْشُؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّمْ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا صُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنسَانِ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَانَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَن يَنْشُؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار الحاجة إليه ، فلم يجعله طوفاناً يهلك ولا رذاذاً لا ينبت ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أحيينا به بلدة ميتة من النبات ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ من بعد فنائكم ومصيركم بالأرض .

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ خلق كل شيء فزوجّه ، فجعل منه الذكر والأنثى ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ﴾ من السفن ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ والبهائم ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ .

[١٣] ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ بتسخيرها لكم ﴿وتقولوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ﴾ أي مطيقين . وفي الآية استحباب هذا الذكر عند ركوب الدابة والسفينة وسواهما ، وكان النبي ﷺ يقول كلما استوى على راحلته أو دابته .

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ لراجعون .

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ جعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيباً ، وذلك قولهم للملائكة : هم بنات الله ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ لبحود نعيم ربه ، التي أنعمها عليه بين كفرانه لمن تدبر حاله .

[١٦] ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَانَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ الهمة للإنكار تجهيلاً لهم ، وتعجبياً من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءاً حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين ، في زعمهم ، وهو الإنثاء دون الذكور .

[١٧] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي من البنات ، والمعنى : إذا رزق أحدهم بأنثى ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الكآبة والغم والحزن وهو كَظِيمٌ ﴿مملوء قلبه من الكرب﴾ .

[١٨] ﴿أَوْ مَن يَنْشُؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ أي تربى في الزينة ، يعني البنات ﴿وهو في الخِصَامِ﴾ في المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ لمن خاصمه ببرهان وحقّة ، لعجزه وضعفه ، والمعنى : أومن كان كذلك جعلتموه جزءاً لله من خلقه ، وزعتم أنه نصيبه منهم ؟

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ أي قالوا : هم بنات الله جهلاً منهم بحقه سبحانه ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أي أَحْضَرُوا خَلْقَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ فوصفوههم بذلك لعلمهم بهم وبرؤيتهم إياهم وهو تجهيل لهم وتهكم بهم ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ على الملائكة بما هم مبرؤون عنه ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها يوم القيامة بأن يأتوا ببرهان على حقيقتها ، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً . وفيه من الوعيد ما فيه .

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ ما لهم بذلك من علم ﴿إذ لو علموا ذلك لكانوا موحدين لا ينسبون التأثير إلا إلى الله ، فلا يسعهم إلا عبادته دون غيره﴾ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يخمنون لتكذيبهم أنفسهم في هذا القول بالفعل ، حين عظموهم وخافوهم وخوفوا أنبياءهم من بطشهم .

[٢١] ﴿أَمْ أَنَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ هذا بيان لضلّال لهم آخر ، في جدلهم وخصامهم وتعنتهم ، فهم لا يبنون باطلهم على وحي ولا علم .

[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ وإنّا على آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿أي لا حجة لهم إلا تقليد آبائهم ، الجهلة مثلهم﴾ .

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ كما فعل هؤلاء المشركون من دفاع الحجة بالتقليد ، فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله ، وتخصيص المترفين إشعار بأن النعم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد .

[٢٤] ﴿قَالَ﴾ وقرئ : ﴿قُلْ﴾ ﴿أُولُو جِثَّتِكُمْ بَأْهَدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي جاحدون منكرون ، وإن كان أهدى .

[٢٥] ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بعدذاب الاستئصال ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي آخر أمرهم ، مما أصبح مثلاً وعبرة .

[٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ اذكر وقت قوله هذا ، ليرى كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل ، أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد ، فإنه أشرف آبائهم ﴿لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ إني بريء من عبادتكم أو معبوداتكم .

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ استثناء منقطع ، أو متصل ، أي : إني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي خلقتني ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِين﴾ للدين الحق ، واتباع سبيل الرشد .

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾ جعل شهادة التوحيد ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ موصى بها ، موروثه متداولة محفوظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لكي يرجعوا إلى عبادته ، ويلجأوا إلى توحيدهِ في سائر شؤونهم .

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ يعني أهل مكة ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم بالحياة ، فلم أعاجلهم على كفرهم ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي دعوة التوحيد أو القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر الرسالة بالآيات والحجج التي يحتج بها عليهم في دعوى رسالته .

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ جاحدون ، فازدادوا في ضلالهم ، لضمهم إلى الشرك معاندة الحق .

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ من إحداهما ، مكة والطائف عظيم بالجاه والمال ، فإن الرسالة منصب لا يليق إلا بعظيم عندهم .

[٣٢] ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ إنكار ، فيه تجهيل وتعجب من تحكّمهم فيما لا يتولاه إلا هو تعالى ، والمراد بالرحمة النبوة ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَرَفَعْنَا بِالْغَنَىٰ﴾ بعضهم فوق بعض درجات ، لنتخذ بعضهم يعني الغني ﴿بعضاً﴾ يعني الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾ مسخرّاً في العمل ، وما به قوام المعيشة والوصول إلى المنافع ، لا لكمال في الموسع عليه ، ولا لنقص في المقتر عليه ، بل لحاجة التضام والتآلف ، التي بها ينتظم شملهم ، وأما النفحات الربانية والعلوم اللدنية فليست مما يستدعي سعة ويساراً ، لأنها اختصاص إلهي ، وفيض رحمانيّ يمن به على أنفس مستعدّيه وأرواح قابليه ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يعني أن النبوة خير مما يجمعون من الحطام الفاني .

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقة على الكفر بالله ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾ لتكثير النعم عليه ، مع كفره بالنعم فيزداد عذاباً ﴿لَبِئْسَ لِمَنْ سَقَفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ مصاعد من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يرتقون .

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولُو جِثَّتِكُمْ بَأْهَدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبِئْسَ لِمَنْ سَقَفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

وَلَبِئْسَ لِمَنْ سَقَفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

وَلَبِئْسَ لِمَنْ سَقَفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

وَلَبِئْسَ لِمَنْ سَقَفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

[٣٤] ﴿وَلَبِئْسَ لِمَنْ سَقَفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ من فضة ﴿وَسُرَّرًا﴾ من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾ .

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا﴾ أي زينة من ذهب وجواهر فوق الفضة ﴿وَأَنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وما كل هذه الأشياء التي ذكرت إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي : وزين الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للذين اتقوا الله فخافوا عقابه ، فجدوا في الطاعة وحذروا المعصية .

[٣٦] ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ ومن يغم عن ذكر الرحمن ﴿أَي الْقُرْآنِ النَّازِلِ مِنْ عِنْدِهِ﴾ وفهم معناه ، ومن يعرض عنه ، فلم يخف سطوته ولم يخش عقابه ﴿نُقْبِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ نجعل له شيطاناً جنياً أو إنسياً يغويه ويضله عن السبيل القويم دائماً لمقارنته له .

[٣٧] ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ وإن الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعيشون عن ذكر الله عن سبيل الحق فيزينون لهم الضلالة ، ويكرهون لهم الإتيان بالله ، والعمل بطاعته ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ويظن المشركون بالله - بتزيين الشياطين لهم ما هم عليه - أنهم على الصواب والهدى .

[٣٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ العاشي الذي عني عن آيات ربّه ﴿قَالَ﴾ لشيطانه : ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ بُعد المشرق من المغرب ﴿فَيُشَسِّسُ الْقَرِينُ﴾ استوحش من قرينه واستدّمه .

[٣٩] ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ لن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب واستحقاق العقاب ﴿أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ لأنكم مشتركون في العذاب لاشتراككم في سببه . أو ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب من شدته وإيلاجه كما ينفع الواقعين في أمر صعب ، معاونتهم في تحمل أعبائه .

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ﴾ إنكار تعجب من أن يكون ﷺ هو الذي يقدر على هدايتهم ﴿تُسْمِعُ الصَّمَّ﴾ إذ سلبوا استماع حجج الله وهده ، كالأصم ﴿أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ وقد سلبوا إِبصار آيات الله والاعتبار بها ، كالأعمى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ . [٤١] ﴿فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ﴾ أي نقبضك قبل أن نظهرك عليهم ﴿فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مَنْتَقِمُونَ﴾ بالعذاب الأخروي . [٤٢] ﴿أَوْ تُرِيْنَكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ إشارة إلى انتصاره ﷺ ودعوته عليهم في الحياة الدنيا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ . [٤٣] ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ إنك على صراط مستقيم يعني دين الله الذي أمر به ، وهو الإسلام . [٤٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عما عملتم فيه ، من اتهمركم بأوامره وانتهاكم عن نواهيه . [٤٥] ﴿وَإِنَّمَا نَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ والذين أمر بمسألتهم الرسول ﷺ هم مؤمنو أهل الكتابين : التوراة والإنجيل . فالكلام بتقدير مضاف : أي أهمهم المؤمنين ﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع ابتدعه . [٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا الْمَصْدَقَةِ لَهُ﴾ إلى فرعون ﴿لِيُنْهَاهُ عَنِ الْعِبَادَةِ﴾ ولما لم يكن له ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ فلما أتاهم موسى بالحجج على التوحيد والبراءة من الشرك ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ إذا فرعون وقومه يضحكون ، كما أن قومك - مما جئتكم به من الآيات - يسخرون .

[٤٨] ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أي السابقة عليها ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ الدنيوي كالسنين ، مما يلجىء إلى الرجوع ، ولا أقل من رجائه ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ .

[٤٩] ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ [قال ابن جرير: الساحر كان عندهم معناه العالم ، ولم يكن السحر عندهم ذمًا ، وإنما دعوه بهذا الاسم لأن معناه عندهم كان : يا أيها العالم] ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من أنه لا يعذب من آمن بك ليكشف عنا العذاب ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ بما تزعم أنه الهداية .

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾ أي رفعناه عنهم ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ العهد الذي عاهدوا عليه ، ويتبادون في غيهم .

[٥١] ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ يعني النيل ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنا فيه من النعيم والخير ، وما فيه موسى من الفقر؟

[٥٢] ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف لا شيء له من الملك والأموال ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلام لمخالفة اللغة العبرانية اللغة القبطية .

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ يعينونه ويصدقونه .

[٥٤] ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ فاستفزه هذه المغالطات ، وحملهم على أن يخفوا له ويصدقوه ﴿فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ .

[٥٥] ﴿فَلَمَّا أَسْفَوْنا﴾ أغضبونا بطاعة عدونا وقبول مغالطاته بلا دليل ، وتكذيب موسى وآياته ونكث العهود ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لعدم نفع العظة معهم بحال من الأحوال .

[٥٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ أي حجة للهاكين بعدهم ﴿وَمَثَلًا﴾ عبرة ﴿لِلْآخِرِينَ﴾ الناجين .

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ في كونه كآدم ، لما بين وصفه الحق من أنه عبد مخلوق منعم عليه بالنبوة ، وعبادته كفر ، ودعاؤه شرك ، إذ لم يأذن الله لعبادة غيره ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ﴾ من مثله المضروب ووصفه المبين ﴿يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ولا يعون .

[٥٨] ﴿وَقَالُوا أَأَلْهَتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون بألتهنهم الملائكة الذين عبدوهم زعمًا منهم أنهم بنات الله تعالى ، كما ذكر عنهم ذلك في أول السورة ، أي أنهم خير من عيسى وأفضل لأنهم من الملائكة الأعلى والنوع الأسمى ، فإذا جازت عبادة المفضل وهو عيسى فبالأولى عبادة الأفضل وهم الملائكة ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ لا عن اعتقاد ، لظهور بطلانه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ شديدا الخصومة بالباطل تمويهًا وتلبيسًا ، وفي الحديث : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) رواه ابن جرير والترمذي .

[٥٩] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة والرسالة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ آية لهم وحجة عليهم ، بما ظهر على يديه مما أبد نبوته ورسالته وصدق دعواه .

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أي بدلکم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ يكونون مكانكم .

وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا أَسْفَوْنا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَلِإِلهَتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

وَأَنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِبِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَلَا بَيْنَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَتَعَبَّدُونَ لَكَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّاهِ الْأَنْفُسُ وَلَذَّةُ الْأَعْيُنِ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

[٦١] ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ﴾ الضمير إما للقرآن كما ذهب إليه قوم ، أي : وإن القرآن الكريم يُعَلِّمُ بالساعة ويخبر عنها وعن أهوالها ، وفي جعله عين العلم مبالغة ، والعلم بمعنى العلامة . وقيل الضمير لعيسى عليه السلام ، أي : إن ظهوره من أسرار الساعة ، ونزوله إلى الأرض في آخر الزمان دليل على فناء الدنيا ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون﴾ اتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي ﴿هذا﴾ القرآن أو ما أدعوكم إليه ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ .

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ لا يمنعكم عن الاتباع ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ واضح العداوة .

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِبِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة وغيرها ، كاختلاف اليهود في القيامة لعدم صراحتها في كتبهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ .

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له ، ربي وربكم جميعاً ، فاعبدوه وحده لا تشركوا معه في عبادته شيئاً ، فإنه لا يصح ولا ينبغي أن يُعبد شيء سواه ﴿هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ هذا الذي أمرتكم به ، من اتقاء الله وطاعتي ، وإفراده تعالى بالألوهية ، هو الطريق القويم .

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ الفرق المتحزبة اختلافاً نشأ ﴿من بينهم﴾ لا من قوله تعالى ولا من قول عيسى ، بل ظلماً وعناداً ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم من شدة الأهوال وكثرة الفضائح ، وظلمهم بترك النظر في الدلائل العقلية والنقلية .

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي قريش ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ .

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ المتخالون على المعاصي والفساد والصد عن الحق يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ معادٍ ، يتبرأ كل من صاحبه ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتصادقين في طاعة الله ومحبه .

[٦٨] ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ لأنهم من العذاب ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ على فوات لذات الدنيا لكونهم على الذ منها وأبهج ، وأحسن حالاً وأجمل . [٦٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا﴾ الذين صدقوا بكتاب الله ورسله ، وعملوا بما جاءتهم به رسلهم ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ أي أهل خضوع لله بقلوبهم ، وقبول منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم ، على دين إبراهيم عليه السلام ، حنفاء ، لا يهود ولا نصارى ولا أهل أوثان .

[٧٠] ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ تسرون سروراً يظهر أثره على وجوهكم .

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ الصحف جمع « صفحة » ، وهي آنية الأكل ، والأكواب جمع كوب وهو ما يشرب منه كالكوثر وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿بمشاهدته﴾ وأنتم فيها خالِدُونَ .

[٧٢] ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الخيرات والأعمال الصالحات .

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ما اشتهيتم .

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَفْتَرِعْنَهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَتَىٰ يَوْمُكَوْنُ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[٧٤] ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ﴾ الذين اجترحوا الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿في عذاب جهنم خالدين﴾ .
[٧٥] ﴿لَا يَفْتَرِعْنَهُمْ﴾ لا يخفف ولا ينقص ﴿وهم فيه مبلسون﴾ مستسلمون يائسون .
[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بهذا العذاب ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ بكفرهم الله .
[٧٧] ﴿ونادوا﴾ بعد إدخالهم جهنم ﴿يا مالِك﴾ وهو اسم خازن النار ﴿ليقض علينا ربك﴾ تمنوا تعطل الحواس وعدم الإحساس ، لشدة التألم بالعذاب الجسدي ﴿قال﴾ خازن النار ﴿إنكم ماكثون﴾ لاثبون .
[٧٨] ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ ، ولكن أكثركم للحق كارهون ﴿لا تقبلونه وتنفرون منه﴾ .
[٧٩] ﴿أم أبرموا أمراً﴾ فإنما مبرمون ﴿أم أبرم مشركو مكة أمراً فأحكموه﴾ ، يكيدون به الحق الذي جاءهم ، فإنما يحكمون لهم ما يجزيهم ويذلهم من النكال .
[٨٠] ﴿أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ ما أخفوه من تناجيهم بما يمكرون ، فلا نجازيهم عليه لخفائه علينا ؟ ﴿بلى﴾ نسمعها ونطلع عليها ﴿ورسلنا﴾ يعني الحفظة ﴿لديهم يكتبون﴾ ما تكلموا به ولفظوا من قول .
[٨١] ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ لذلك الولد ، وهذا إما أن يدل على نفي الولد عن الله سبحانه بالبرهان ، وإما أن يدل على نفي الشرك عن الرسول بالمفهوم .
[٨٢] ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ أي : أوحده وأزله تعالى عما يصفونه من كونه مائلاً لشيء ، لكونه رباً خالقاً للأجسام كلها ، فلا يكون من جنسها ، فيفيد انتفاء الولد على الطريق البرهاني .
[٨٣] ﴿فذَرَهُمْ يخوضوا ويلعبوا﴾ في باطلهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ وذلك يوم يُصليهم الله بفريتهم عليه جهنم ، وهو يوم القيامة .
[٨٤] ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ أي المعبود فيها بلا شريك ﴿وهو الحكيم العليم﴾ في تدبير خلقه وتسخيرهم لما يشاء بمصالحهم .
[٨٥] ﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾ .
[٨٦] ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ لهم عند الله ، كما زعموا أن أندادهم شفاعة ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ هذا استثناء منقطع ، أي : لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم ، فإنه تنفع شفاعته عنده ، بإذنه له .
[٨٧] ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله﴾ فهم يُقرّون بذلك لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿فأتى يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟﴾ ﴿وقيل﴾ وقال محمد ﷺ ﴿فأتى يؤفكون﴾ فأتى يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟
[٨٨] ﴿وقيل﴾ وقال محمد ﷺ ﴿فأتى يؤفكون﴾ فأتى يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟
[٨٩] ﴿فاصفح عنهم﴾ فأعرض عنهم ﴿وقل سلام﴾ لكم ، أو عليكم ، أو : أمري سلام ، أي متاركة ، فهو سلام متاركة لا تحية ﴿فسوف يعلمون﴾ حقيقة ما أرسلت به ، بسمو الحق وزهوق الباطل .

[٨٢] ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ أي : أوحده وأزله تعالى عما يصفونه من كونه مائلاً لشيء ، لكونه رباً خالقاً للأجسام كلها ، فلا يكون من جنسها ، فيفيد انتفاء الولد على الطريق البرهاني .

[٨٣] ﴿فذَرَهُمْ يخوضوا ويلعبوا﴾ في باطلهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ وذلك يوم يُصليهم الله بفريتهم عليه جهنم ، وهو يوم القيامة .

[٨٤] ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ أي المعبود فيها بلا شريك ﴿وهو الحكيم العليم﴾ في تدبير خلقه وتسخيرهم لما يشاء بمصالحهم .

[٨٥] ﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾ .

[٨٦] ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ لهم عند الله ، كما زعموا أن أندادهم شفاعة ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ هذا استثناء منقطع ، أي : لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم ، فإنه تنفع شفاعته عنده ، بإذنه له .

[٨٧] ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله﴾ فهم يُقرّون بذلك لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿فأتى يؤفكون﴾ فأتى يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟
[٨٨] ﴿وقيل﴾ وقال محمد ﷺ ﴿فأتى يؤفكون﴾ فأتى يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟
[٨٩] ﴿فاصفح عنهم﴾ فأعرض عنهم ﴿وقل سلام﴾ لكم ، أو عليكم ، أو : أمري سلام ، أي متاركة ، فهو سلام متاركة لا تحية ﴿فسوف يعلمون﴾ حقيقة ما أرسلت به ، بسمو الحق وزهوق الباطل .

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكََةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَىٰ هُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْظِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدِّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

[سورة الدخان]

سميت بالدخان لدلالة آيته على أنه جزء غشيان أذخنة النفوس الخبيثة بصائر قلوب أهلها وأرواحهم . وهي مكية . وعدد آياتها تسع وخمسون آية .

[١] ﴿حم﴾ من الأحرف المقطعة وتقرأ : حا . ميم .

[٢] ﴿والكتاب المبين﴾ القرآن الكريم .

[٣] ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ يعني ليلة القدر التي قدر فيها سبحانه إنزال ذكره الحكيم ، وكانت في رمضان ﴿إنا كنا منذرين﴾ من خالف مقتضى الحكمة وقوة الدلائل .

[٤] ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ يفصل ويبين كل أمر تقتضيه الحكمة ، على وجه متين محمود .

[٥] ﴿أمرًا من عندنا﴾ أعني هذا الأمر أمراً حاصلًا من عندنا على مقتضى حكمتنا ﴿إنا كنا مرسلين﴾ .

[٦] ﴿رحمة من ربك﴾ أي رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الله ويُرَكِّبهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴿إنه هو السميع﴾ لدعوة حقائق الأشياء بمقتضياتها ﴿العليم﴾ بمقادير قابلياتها ، فلا يبعد عليه الإرسال والإنزال .

[٧] ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ إن كنتم تطلبون اليقين



وتريدونه ، فاعرفوا أن الأمر كما قلنا . وقيل معناه : إن كنتم موقنين بما تقرّون به من أنه رب الجميع وخالقه .

[٨] ﴿لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾ ، ربكم ورب آبائكم الأولين .

[٩] ﴿بل هم في شك يلعبون﴾ بل ليسوا بموقنين في إقرارهم بربوبيته ، لأن الإيقان يستتبع قبول البرهان . [١٠] ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ انتظر لمجازاتهم ذلك اليوم الهائل . وللسلف في معنى الدخان أوجه : الأول : قال بعضهم : كان ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش أن يؤخذوا بسنين كسني يوسف ، فأخذوا بالجاعة . قالوا : وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع ، من الظلمة كهينة الدخان . الوجه الثاني : أنه دخان يظهر في العالم ، وهو إحدى علامات القيامة . [١١] ﴿يغشى الناس﴾ يتغشاهم ويعمهم ﴿هذا عذاب أليم﴾

يقال لهم ذلك توبيخاً وتقريعاً . [١٢] ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ ذلك قول الكافرين إذا عابوا عذاب الله وعقابه ، سائلين رفعه وكشفه عنهم . [١٣] ﴿أتى هم الذكرى﴾ وقد جاءهم رسول مبين ﴿كيف لهم التذكر وقد أرسلنا إليهم رسولاً بين الرسالة والندارة﴾ . [١٤] ﴿ثم تولّوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ ومع هذا تولّوا عنه وما وافقوه ، بل كذبوه وقالوا : معلم مجنون . [١٥] ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾

يحتمل معنيين : أحدهما : أنه يقول تعالى : ولو كشفنا عنهم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب . والثاني : أن يكون المراد : إنا مؤخروا العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم ، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال .

[١٦] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ قال ابن عباس : قال ابن مسعود : البطشة الكبرى يوم بدر ، وأنا أقول هي يوم القيامة .

[١٧] ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أي ابتلينا قبل هؤلاء المشركين ، قوم فرعون ، بإرسال موسى عليه السلام إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿وجاءهم رسول كريم﴾ على الله والمؤمنين ، أو في نفسه . [١٨] ﴿أن أدّوا إلي عباد الله﴾ أي أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من أسرهم وجسكهم ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على وحيه ورسالته التي حملنيها إليكم ، لأنذركم بأسه إن عصيتموه .

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عِدْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّ لَوْ أَنَّ رَبِّي
رَبُّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢١﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
مُتَّبِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٣﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٤﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَنَعْمَةً
كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٦﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٧﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٩﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا
نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُونَا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْغَيْبِ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

[١٩] ﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ بإنكار ربوبيته ، وتكذيب رسوله ، وغضب عباده ﴿ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ بحجة واضحة .

[٢٠] ﴿ وَإِنِّي عِدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ أي اعتصمت به من رجلكم ، يعني القتل ، فعصمني فلا ينالني منكم مكروه . وقيل : الرجم هو الشتم باللسان .

[٢١] ﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّ لَوْ أَنَّ رَبِّي ﴾ فكونوا بمعزل عني ، فلست بموالٍ منكم أحداً .

[٢٢] ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ﴾ فاجاب دعاءه ، وأوحى إليه بأن أسر بقومك ليلاً ﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ إن فرعون وقومه متبعوكم ، ليرجعوكم إلى ما كنتم فيه من الأسر والعذاب .

[٢٣] ﴿ وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ فإذا قطعت البحر أنت وأصحابك ، فاتركه ساكناً على حاله التي كان عليها حين دخلته ، ولا تضربه بعصاك ليدخله قوم فرعون فيغرقوا ﴿ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴾ .

[٢٤] ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ بعد هلاكهم بالغرق ﴿ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ يتنعم بالنظر فيها ، هذا في التفكه والتنزه .

[٢٥] ﴿ وَزُرُوعٍ ﴾ قائمة في مزارعهم للقوت ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ محافل مزينة ومنازل مزخرفة .

[٢٦] ﴿ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴾ أي متنعمين من نساء وأموال وحشم ، وما لا يحصى من المشتريات .

[٢٧] ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ من خلفهم بعد ملكهم . [٢٨] ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ نفى ذلك عنهم فيه تهكم بهم وبجأهم ، المنافية لحال من يعظم فقده ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ مؤخرين بالعقوبة ، بل عوجلوا بها ، زيادة سخط عليهم .

[٢٩] ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ يعني استعباد فرعون وقتله أبناءهم . [٣٠] ﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا ﴾ متكبراً على الناس ﴿ مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ المتجاوزين الحد في العتو والشر . [٣١] ﴿ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أي فضلناهم لأجل علم معهم ، على عالمي زمانهم ، وعالمين بأنهم أحقاء بأن يختاروا ويؤثروا . [٣٢] ﴿ وَءَاتَيْنَاهُمْ ﴾ زيادة على اختيارهم وتفضيلهم ﴿ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ المعجزات والكرامات ﴿ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴾ نعمة ظاهرة ، لأنهم حجة واضحة على أعدائهم . [٣٣] ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ .

[٣٤] ﴿ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى ﴾ كأنهم أرادوا : إلا موتتنا هذه ، وليس القصد إثبات ثالثة ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ أي بمبعوثين . [٣٥] ﴿ فَأَتُونَا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في بعثنا بعد بلاتنا في قبورنا ، وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة ، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة ، لا في دار الدنيا . [٣٦] ﴿ أَهْمُ خَيْرٌ ﴾ في القوة والمنعة ﴿ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ فما بال قريش لا تخاف أن يصيبها ما أصابهم ؟ وقوم تبعهم هم خير وأهل سباً .

[٣٧] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ .

[٣٨] ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي الاستدلال على خالقهما لعبادته وطاعته ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ حكمة خلقها ، فيعرضون عنه .

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى
عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُونِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ
الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٢﴾
كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٣﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَلَكَهَةٍ أَمِينٍ ﴿٥٤﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ فَضْلاً
مِّنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٨﴾

سُورَةُ الْجَنَّةِ

[٤٠] ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ يوم الحساب ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ أجمعين . [عن قتادة قال : يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم - ابن جرير] .

[٤١] ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً ﴾ من إثابة أو تحمل عقوبة ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ .

[٤٢] ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ﴾ بأن وفقه للإيمان والعمل الصالح [وأجاز له أن يشفع] ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .

[٤٣] ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُونِ ﴾ التي هي أخبث شجرة معروفة في البادية .

[٤٤] ﴿ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ الفاجر الكثير الآثام . [عن ابن عباس قال : لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا لأفسدت على الناس معاشهم - ابن جرير] .

[٤٥] ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ هو عكر الزيت في قعره ﴿ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ يضطرب فيها من شدة الحرارة فيقلق القلوب ويحرقها .

[٤٦] ﴿ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ كالماء الحار الذي انتهى غليانه .

[٤٧] ﴿ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ ﴾ ادفعوه بعنف ﴿ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ إلى وسطها ومعظمها .

[٤٨] ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ لتستوفي جميع أجزاء بدنه نصيبها .

[٤٩] ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ يقال له ذلك على سبيل الهزء والتهكم ، فيتم له مع العذاب الأول - وهو الحسي - العذاب العقلي . [ذكر ابن جرير أن هذه

الآيات نزلت في أبي جهل بن هشام ، فعن قتادة أن أبا جهل لقي النبي ﷺ فأخذه فهزه ثم قال : أولى لك يا أبا جهل فأولى ، ثم أولى لك فأولى ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ، وذلك أنه قال : أيوعدي محمد ، والله لأنا أعز من مشى بين جبليها] .

[٥٠] ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ العذاب أو الأمر ﴿ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ تشكون مع ظهور دلائله .

[٥١] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ يأمن صاحبه من الخوف والفرع . [٥٢] ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

[٥٣] ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ ما رق من الحرير وكثف متقابلين ﴿ فِي مَجَالِسِهِمْ أَوْ مَأْكِنِهِمْ ﴾ .

[٥٤] ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ قرناهم بها فيه قرّة أعينهم واستئناس قلوبهم .

[٥٥] ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَةٍ أَمِينٍ ﴾ يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه ، آمنين من كل ضرر .

[٥٦] ﴿ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى ﴾ لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة ، الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا ﴿ وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ . [٥٧] ﴿ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ، ذلك هو الفوز العظيم ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون بعبث وعظاته وحججه ، فينبوا إلى طاعة ربهم ويدعوا للحق .

[٥٨] ﴿ فَأَرْتَقِبْ ﴾ ما يحل بهم من زهوق الباطل ﴿ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴾ ينتظرون عند أنفسهم غلبتك ، أو هو قولهم ﴿ نتربص به رَبِّبَ المنون ﴾ وهذا وعد له ﷺ بالنصرة والفتح عليهم ، ووعد لهم ، وقد أنجز الله وعده .

[سورة الجاثية]

سميت الجاثية لتضمن آياتها بيان سبب تأخير البعث إلى يوم القيامة وتسمى سورة «الشرية» لتضمن آياتها وجه نسخ هذه الشريعة سائر الشرائع وفضلها عليها ، وهي مكينة . واستثنى بعضهم الآية ١٤ ف قيل هي مدنية ، نزلت في شأن عمر . وعدد آياتها سبع وثلاثون آية .

- [١] ﴿ حَمَّ ﴾ تقدم معنى قوله ﴿ حَمَّ ﴾ .
 [٢] ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز ﴾ فعزته تقتضي إفاضة الحجج التي بها الغلبة على الخصوم ﴿ الحكيم ﴾ والحكمة تقتضي محو الشبهة وإزالة النقائص وإحراق الشقاوة وتمهيد الفكر .
 [٣] ﴿ إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ﴾ .
 [٤] ﴿ وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ﴾ .

[٥] ﴿ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق ﴾ أي مطر ، سمي رزقاً لأنه سببه ﴿ فأخيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح ﴾ [عن قتادة قال : تصرفها إن شاء جعلها رحمة وإن شاء جعلها عذاباً - ابن جرير] ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ عن الله ما وعظهم به ودعاهم إليه .
 [٦] ﴿ تلك آيات الله ﴾ الدالة على كمال قدرته وحكمته وإرادته ﴿ تنلونها عليكم بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ أي بعد آياته ودلائله الباهرة .
 [٧] ﴿ ويئل لكل أفاك ﴾ كذاب يتكلم في حق الله



وصفاته على خلاف الدليل ﴿ أثيم ﴾ مذب ، بترك الاستدلال ، لاسيما إذا لم يترك عن غفلة بل كونه :

- [٨] ﴿ يسمع آيات الله ﴾ لا بالإخبار عنها بالغيب بل ﴿ تنلى عليه ثم يصير ﴾ على إنكارها ﴿ مستكبراً ﴾ عن قبولها ، لا يتأثر بها أصلاً ﴿ كأن لم يسمعها ، فبشره بعذاب أليم ﴾ .
 [٩] ﴿ وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً ﴾ استهانة بها ﴿ أولئك هم عذاب مهين ﴾ .
 [١٠] ﴿ من ورأيهم جهنم ﴾ من بعد انقضاء آجالهم ، عذابها ﴿ ولا يغني عنهم ما كسبوا ﴾ من الأموال والأولاد ﴿ شيئاً ﴾ من عذاب الله ﴿ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ﴾ يعني آلهتهم التي عبدوها ، أو رؤساءهم الذين أطاعوهم في الكفر واتخذوهم نصراء في الدنيا ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ .
 [١١] ﴿ هذا القرآن الكريم ﴾ هدى ﴿ بيان ودليل إلى الحق ، يهدي إلى صراط مستقيم من اتبعه وعمل بها فيه ﴾ والذين كفروا بآيات ربهم هم عذاب من رجز أليم ﴾ هو أشد العذاب .

[١٢] ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ﴾ أي بتسخيره ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ باستفادة علم وتجارة وأمتعة غريبة ، وجهاد وهداية وغوص فيه لاستخراج لآئته ، والصيد منه ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ نعمة هذا السخير ، فتعبدوه وحده ، وتصرفوا ما أنعم به عليكم ، إلى ما خلقتكم له . [١٣] ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ في آيات الله وحججه وأدلته ، فيعتبرون بها ويتفكرون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦ وَيُلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْثَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ١١ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ١٥ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١٦ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ١٧ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٨ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٩ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ٢٠ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٢١ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٢٢ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٣

[١٤] ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ صدقوا بالله واتبعوا ﴿ يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ لا يخافون بأس الله ونقمه ووقائعهم بأعدائه ﴿ ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون ﴾ من عملهم ، ومنه العفو والتجاوز عن بعض ما يؤذي ويوحش . [عن ابن عباس قال : كان نبي الله ﷺ يعرض عن المشركين إذا آذوه ، وكانوا يستهزئون به ، ويكذبونه ، فأمره الله عز وجل أن يقاتل المشركين كافة ، فكان هذا من المنسوخ - ابن جرير] .

[١٥] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ لكونه افتكها من العذاب ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ فعل نفسه جنى ، لأنه أوبقها بذلك ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ تصيرون إليه ، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

[١٦] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴾ أي التوراة ﴿ وَالْحُكْمَ ﴾ الفهم بالكتاب والعلم بالسنن التي لم تنزل بالكتاب ﴿ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ وجعلنا منهم أنبياء ورسلاً إلى الخلق ﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ يعني المن والسلوى ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أي عالمي أهل زمانهم ، بإيتائهم ما لم يؤت غيرهم .

[١٧] ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ أي حججاً وبراهين وأدلة قاطعات ، تأبى الاختلاف ، ولكن أبوا إلا الاختلاف ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ ظمناً وتعدياً منهم لطلب الحظوظ العاجلة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ وهذا فيه تحذير لهذه الأمة ، أن تسلك مسلكهم ، وأن تقصد منهجهم .

[١٨] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ على طريقة وسنة ومنهاج من أمر الدين ، الذي أمرنا به من قبل من رسلنا ﴿ فَاتَّبِعْهَا ﴾ أي تلك الشريعة الثابتة بالدلائل والحجج ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني المشركين ، وما هم عليه من الأهواء التي لا حجة عليها .

[١٩] ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ لن يدفعوا عنك من غضبه وعقابه شيئاً ما ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أعوان وأنصار على المؤمنين وأهل الطاعة ، أو في التحزب والتقوى ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ من اتقاه بعبادته وحده وخشيته بكفائته من بغى عليه ، وكاده بسوء .
 [٢٠] ﴿ هذا ﴾ القرآن ﴿ بصائر للناس ﴾ يبصرون به الحق من الباطل ، ويعرفون به سبيل الرشاد ﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالة ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ من العذاب لمن آمن وأيقن ﴿ لقوم يوقنون ﴾ يطلبون اليقين .

[٢١] ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي اكتسبوا سيئات الأعمال ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ والمعنى : إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيياً ، وأن يستووا مماتاً ، لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات ، وأولئك على ركوب المعاصي ، ومماتاً حيث مات هؤلاء على البشري بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه ، وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعد لهم .

[٢٢] ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ قال ابن جرير : خلقناهما للحق والعدل . ومن الحق أن تخالف بين حكم المسيء والمحسن في العاجل والآجل ﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ يدها ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ في جزاء أعمالهم .

[٢٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ من ترك متابعة الهدى إلى متابعة الهوى ، فكأنه يعبد ، فجعله إلهاً ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ عالماً بحاله من زوال استعدادة وانقلاب وجهه إلى الجهة السفلى ﴿وَوَخَّمْ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ أي بالطرد عن باب الهدى ، والإبعاد عن محل سماع الكلام الحق وفهمه ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ عن رؤية حجج الله وآياته ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أي فمن يوفقه لإصابة الحق بعد إضلال الله إياه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ .

[٢٤] ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ ما الحياة أو الحال غير حياتنا هذه التي نحن فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ إشارة إلى نسبة الحوادث إلى الدهر ، أو إلى إنكار البعث ، أو إلى كليهما ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ .

[٢٥] ﴿وَإِذَا تَنَتَّلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ بأن الله باعث خلقه يوم القيامة ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوْا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي انشروهم أحياء حتى نصدق ببعثنا أحياء بعد مماتنا ، كأنه قيل : ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة ، بمعنى أن لا حجة لهم البتة .

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

[٢٧] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا مالك غيره ، ولا معبود سواه ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الذين أتوا بالباطل في أفواههم وأفعالهم ، وهم المشركون .

[٢٨] ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ باركة ، مستوفزة على الركب - قاعدة قعوداً منتصباً غير مطمئن - لا حراك بها ، شأن الخائف المنتظر لما يكره ، وذلك عند الحساب ، أو في الموقف الأول ، وقت البعث قبل الجزاء ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أي اللوح الذي أثبت فيه أعمالها ، ويعطى بيمين من كان سعيداً ، وبشمال من كان شقيماً ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

[٢٩] ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾ نستكتب الملائكة ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

[٣٠] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي ما صلح به حالهم في المعاد الجسماني ﴿فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي في جنته ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ .

[٣١] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيقال لهم : ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ بكسب الآثام ، والكفر بالله ، وعدم التصديق بمعاد ، ولا الإيمان بثواب وعقاب .

[٣٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ أي : لا نستيقن بها ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ وما نحن بمُستيقنين ﴿أَنَّهُ كَاثِبَةٌ وَآتِيَةٌ﴾ .

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَنَتَّلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوْا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

وَبَدَّلَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا لَهُمْ يُسْعَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

[٣٣] ﴿وَبَدَّلَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾ ظهر لهم قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئة ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يعني الجزاء .

[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ نترككم في العذاب ، ترك ما يُنسى ، كما تركتم التأهب له ، ف ﴿نَسَاكُمْ﴾ استعارة أو مجاز مرسل ﴿وَمَا وَكُمُ النَّارُ﴾ وما لكم من ناصرين .

[٣٥] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي خدعتكم حتى أثرتوها على الآخرة ، وزعمتم أن لا حياة سواها ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا﴾ أي من النار ﴿وَلَا لَهُمْ يُسْعَبُونَ﴾ ولا يطلب منهم أن يعتبرا ربهم ، أي يرضوه ، من الإعتاب وهو إزالة العتب ، كناية عن الإرضاء ، أو لا هم يردون إلى الدنيا ليتوبوا ويرجعوا إلى الله ، فما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ .

[٣٦] ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ أي الثناء الكامل ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[٣٧] ﴿لَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ له الاستعلاء على كل شيء باستغنائه عنه وافتقار كل شيء إليه تعالى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ الْحَكِيمُ﴾ .

[سورة الْأَنْعَامِ]

مكية . وعدد آياتها خمس وثلاثون آية .

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ من الأحرف المقطعة وتقرأ : حا ، ميم . [٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ . [٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا بالحكمة وإقامة العدل في الخلق .

[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان التي تعبدونها ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فإن ربي خلق الأرض كلها ، فابتدعها من غير أصل] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ حتى تستحق العبادة ﴿أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ تبكيت لهم لعجزهم عن ذلك ، فقد تحداهم بإتيان كتاب إلهي من قبل هذا القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك يدل على صحة دينهم ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ [قال ابن جرير : معناه : أو أثوني بعلم بأن أهلكم خلقت من الأرض شيئاً وأن لها شركاً في السموات من قبل الخط الذي تخطونه في الأرض ، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو خاصة من علم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو علم تثيرونه فتستخرجونه ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو تأثرون ذلك علماً عن أحد من قبلكم ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو بينة من الأمر ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : ببقية من علم] واختار القاسمي : أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاق هذه الآلهة المزعومة للعبادة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم .

[٥] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ﴾ دعاء لعجزه عنها ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ، ذلك أن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لأنهم في القيامة أيضاً لا يستجيبون لهم ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ لأنهم إما مجادات وإما مسخرون مشغولون بأحوالهم ، والغفلة مجاز عن عدم الفائدة منها .

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ جُمعوا يوم القيامة للحساب ﴿كَانُوا﴾ أي ألفتهم المزعومة ﴿لَهُمْ أَعْدَاءُ﴾ لتبرئهم منهم ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ تقول هذه الآلهة المعبودة من دون الله : ما أمرناهم بعبادتنا ولا شعرنا بها ، تبرأنا إليك منهم يا ربنا .

[٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ جحدوه أول ما سمعوه من غير إجمالة فكر ولا إعمال رويّة .

[٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ لا تقدرون أن تدفعوا عني سوء إن أصابني به ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ بما تخوضون في حقه من أنه سحر أو إفك ﴿كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصدق بما يؤدبني به من آياته وصدق مواعيده ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب وآمن .

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَاءِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه ، فلم تستنكرون بعثتي ، وتستبعدون رسالتي . والبدع كالبديع بمعنى الجديد المبتدأ ﴿وَمَا أَذْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكُمُ﴾ فيما لم يوح إلي . والوحي ببعض الأمور لا يستلزم العلم بالباقي ، ذلك أنه ﷺ ما كان ليضم إلى الوحي كذباً من عنده ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ في تقرير الأمور الغيبية ﴿إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿مَنْذَرٌ عِقَابِ اللَّهِ عَلَى كُفْرِكُمْ بِهِ﴾ .

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ منزلاً من لدنه علي ، لا سحراً مفترى كما تزعمون ﴿وَكُفِّرْتُمْ بِهِ﴾ وشهد شاهد من بني إسرائيل ﴿هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ﴾ وهو يهودي أسلم وحسن إسلامه ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ على مثل القرآن وهو ما في التوراة من الأحكام المصدقة له من الإيمان بالله وحده وما يتبعه ، أو على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى . و«الفاء» في قوله تعالى ﴿فَأَمَنْ﴾ للدلالة على أنه سارع إلى الإيمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به بعد هذه الشهادة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ استئناف مشعر بأن كفرهم لضلالهم المسبب عن ظلمهم .

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ﴾ الإيمان ، أو ما أتى به الرسول ﷺ ﴿خَبِراً﴾ مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَكُنَّا أُولَى بِهِ﴾ كسائر الخيرات من المال والجاه ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي كذب قديم ، كما قالوا ﴿أساطير الأولين﴾ .

[١٢] ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾ قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه ، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه [من اليهود] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن الذي يقولون فيه ما يقولون ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ لكتاب موسى ﴿لِسَاناً عَرَبِيّاً﴾ أي بيّناً واضحاً ﴿لِنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره ﴿وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ في إيمانهم وطاعتهم إياه في الدنيا .

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا : رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴿بَعْدَ التَّوْحِيدِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ﴾ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴿مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْجُ الْأَكْبَرُ﴾ .

[١٤] ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴿ .

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَاءِ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَذْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكُمُ أَنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفِّرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَنَارَ مَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهِ أَفِ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذَهَبَتْ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

الدنيا ، وهو موفيه لهم في الآخرة .

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهِ﴾ حين دَعَوَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالِاسْتِقَامَةِ : ﴿أَفِ لَكُمَا﴾ من هذه الدعوة ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرُجَ﴾ أَنْ أُبْعَثَ مِنْ قَبْرِ بَعْدِ فَنَائِي ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ هَلَكْتَ وَلَمْ يَرْجِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ ﴿وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ﴾ المعنى : إنكار قوله واستعظامه كأنها لَجَأٌ إِلَى اللَّهِ فِي دَفْعِهِ كَمَا يُقَالُ الْعِيَاذُ بِاللَّهِ ، أَوِ الْمَعْنَى : يَطْلُبَانِ أَنْ يَغِيثَهُ اللَّهُ بِالتَّوْفِيقِ حَتَّى يَرْجِعَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ﴿وَيَلِكُ ءَامِنْ﴾ صَدَقَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَأَقْرَأَ أَنَّكَ مَبْعُوثٌ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾ إِنْ وَعَدَهُ بِبَعْثِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ لِمَجَازَاتِهِمْ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ ﴿فَيَقُولُ﴾ مَجِيباً وَالِدَيْهِ رَادّاً عَلَيْهَا نَصِيحَتَهَا مَكْذَباً بِوَعْدِ اللَّهِ ﴿مَا هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي أَبَاطِيلُهُمُ الَّتِي كَتَبُوهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ .

[١٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الإلهي وَهُوَ الْعَذَابُ ﴿فِي أُمُورٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا رِسْلَ اللَّهِ ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ يَبِيعُهُمْ لِهْدَى بِالضَّلَالِ .

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ﴾ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ﴿دَرَجَاتٌ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي مَرَاتِبٌ مِنْ جَزَاءِ مَا عَمِلُوا مِنْ صَالِحٍ أَوْ سِيئٍ ﴿وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي جَزَاءُهَا ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ بِنَقْصِ ثَوَابٍ وَلَا زِيَادَةِ عِقَابٍ . [٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ فيقال لهم : ﴿أَذَهَبَتْ طَبِيبَاتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَنَعْتُمْ بِهَا﴾ فَمَا بَقِيَ لَكُمْ مِنَ اللَّذَائِذِ شَيْءٍ لِأَسْتَوْفِيَكُمْ إِيَّاهَا ﴿فَالْيَوْمَ يُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الْهُونُ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بغير ما أَبَاحَ اللَّهُ لَكُمْ وَأَذِنَ ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ عَنْ طَاعَتِهِ ، فَأَبْعَدَكُمْ عَنْ كِرَامَتِهِ .

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ هذا أمر بالإحسان للوالدين وتهديد لمن عَفَّها وعصاها في الإيمان المذكور في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهِ . . .﴾ الآية ١٧ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴿الكره المشقة﴾ وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ﴿حمله جنيناً في بطنها ، وفطامه من الرضاع﴾ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴿تضي عليها بمعاينة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله مما يوجب للأُم مزيد العناية وأكد الرعاية . وقد استدلت الإمام علي كرم الله وجهه بهذه الآية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وهو استنباط قوي صحيح وافقه عليه الخليفة عثمان رضي الله عنه وجماعة من الصحابة﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴿أي استحکم قوته وعقله﴾ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴿أُهْمِنِي﴾ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴿بِالهُدَايَةِ لِلتَّوْحِيدِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ وَغَيْرِ ذَلِكَ﴾ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ، وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴿واجعل الصلاح سارياً في ذُرِّيَّتِي رَاسِخاً فِيهِمْ﴾ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴿من ذنوبي التي سلفت مني﴾ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿المستسلمين لأمرِك ونهيك ، المتقادين لحُكْمِكَ﴾ .

[١٦] ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُوصُوفُونَ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ ﴿الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ مِنَ الصَّالِحَاتِ ، فَجَازَيْهِمْ عَلَيْهَا ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فَلَا نَعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا لِتَوْبَتِهِمْ ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ مُعَدِّدِينَ فِي زِمْرَتِهِمْ ثَوَاباً وَمَقَاماً ﴿وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ وَعَدَهُمْ تَعَالَى هَذَا الْوَعْدُ الْحَقُّ فِي

[٢١] ﴿وَإِذْ نَادَىٰ أَخَاهُ عَادٌ﴾ يعني هوداً عليه السلام ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع حقف وهو الرمل المستطيل المرتفع . يقال أنهم كانوا في اليمن مشرفين على البحر [وقال بعضهم: هي جبل بالشام، وقال آخرون: بل هي وادي بين عُمان ومهرة، وقال آخرون: هي أرض، وقال آخرون: هي رمال مشرفة على البحر بالشحر - ابن جرير] ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ وقد مضت الرسل بإنذار أممهم قبله وبعده متفقين على: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ لا تشركوا به شيئاً. وقال كل واحد منهم عليهم السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ من عبادة غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي عذاباً بمقدار شرهم .

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ﴾ لتصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾ فأتينا بما تعدنا ﴿من العذاب على عبادتنا إياها﴾ إن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿في وعدك أنه آت لا محالة .

[٢٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فلا أعلم وقت مجيء العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ ، وَلَكِنِّي أُرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿فلا تعرفون ما عليكم من المضرة بعبادتكم غير الله وفي استعجال عذابه .

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ فلما جاءهم العذاب الذي استعجلوه فأروه عارضاً في ناحية من نواحي السماء متجهاً نحو مزارعهم ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ﴾ أي سحاب عارض ﴿مُطَرٌّ﴾ بغيث نحيا به ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[٢٥] ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تهلك أموالهم وأنفسهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإذنه الذي لا يعارض ، فلم تدفع عنهم آهتهم بل دمرتهم ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاجِدَهُمْ﴾ بيوتهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وفي هذا إشارة إلى أهل مكة ومن كان على شاكلتهم .

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا﴾ والخطاب لكفار قريش ، أي مكنا عباداً وأتيناهم من كثرة الأموال وقوة الأجسام فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا . وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ جعلنا لهم ما يسمعون ويبصرون ويعقلون به مواعظ الله وحججه ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأنهم لم يستعملوها فيما خلقت له ، بل في خلافه ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿من العذاب ، والجحود: الكفر والإنكار ، وحاق: نزل .

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ ما حول قريبتكم يا أهل مكة ﴿مِنَ الْقُرَى﴾ كجحر ثمود ، وأرض سدوم ، وسد مأرب ونحوها ، فأنذرنا أهلها وخربنا ديارهم فجعلناها خاوية على عروشها ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ وعظناهم بأنواع العظات وبيننا الحجج ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر بالله ورسوله . ودلالة الكلام : أبوا إلا الإقامة على كفرهم فأهلكناهم فلم ينصروهم منا ناصر .

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ إن كانت تشفع لهم عنده سبحانه ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ غابوا عن نصرهم ﴿وَذَلِكَ إِنْكَهَرُوا﴾ ضياع آهتهم عنهم ، وامتناع نصرهم إثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ﴿وما كانوا يفترون﴾ وإثر افتراءهم في أنها شفعاؤهم .

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾﴾

[٢٩] ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ وأقبلنا بهم نحوك [قال ابن جرير: ذكر أنهم صرفوا إلى رسول الله ﷺ بالحادث الذي حدث من رجهم بالشهب] ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴿ليتم التدبر والتفكير﴾ [قال ابن جرير: قال بعضهم: حضروا رسول الله ﷺ يتعرفون الأمر الذي حدث من قبله ما حدث في السماء، ورسول الله ﷺ لا يشعر بمكانهم . وقال آخرون: بل أمر نبي الله ﷺ أن يقرأ عليهم القرآن، وأنهم جمعوا له بعد أن تقدم الله إليه بإنذارهم، وأمره بقراءة القرآن عليهم] ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَوْ﴾ رجعوا ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ عما هم فيه من الضلال .

[٣٠] ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ المتفق على تعظيم كتابه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من هذه الكتب كلها ، وقد فُضِّلَ عليها إذ ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو معرفة الحقائق ﴿وإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا عوج فيه ، وهو الإسلام . فإن القرآن مشتمل على شيئين : خبر وطلب ، فخره صدق وطلبه عدل .

[٣١] ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ أي رسوله محمداً ﷺ إلى ما يدعوكم إليه من طاعته تعالى ﴿وَآمِنُوا بِهِ﴾ ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿فرسول الله ﷺ كانت رسالته عامة إلى الإنس والجن . [عن قتادة قال: ما أسرع ما عقل القوم، ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نبوى - ابن جرير] .

[٣٢] ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ فليس بمعجز ربّه بهربه إذا أراد تعالى عقوبته ، فهو في قبضته أتى توجهه ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ ليس له نصراء ينصرونه من عقاب الله ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ .

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ بإعادة الروح إلى الجسد ، وإخراجهم من قبورهم كحياتهم قبل وفاتهم . و ﴿يَعِزُّ﴾ يعجز ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولو فنى الجسد وغيره .

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ أليس هذا ﴿الإحياء﴾ بالحق قالوا بلى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ .

[٣٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ على تبليغ الرسالة وتكذيبهم وإيذائهم ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أولوا الثبات والجِدِّ منهم ، فإنك منهم . والعزم - في اللغة - كالعزيمة . والعزم أيضاً القوة على الشيء والصبر عليه . وقيل هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي ولا تستعجل بمساءلتك ربك العذاب لهم ، فإن ذلك نازل بهم لا محالة ، وإن اشتد عليك الأمر من جهتهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الله ونكاله وخزيه الذي ينزل بهم في الدنيا أو في الآخرة ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ لأنه ينسيهم شدة ما ينزل بهم من عذابه ، قدر ما كانوا في الدنيا لبثوا ومبلغ ما فيها مكثوا ﴿بلاغ﴾ هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية ، وإن فكروا واعتبروا فتذكروا ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ﴾ بعذاب الله إذا أنزله بمقتضى العدل والحكمة ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ الذين خالفوا أمره ، وخرجوا من طاعته .

[سورة محمد]

مدنية . وعدد آياتها ثمان وثلاثون آية .

[١] الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿٢﴾ الثَّابِتُ بِالْوَقْعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ ﴿٣﴾ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ سِتْرَ بَيَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي لِتَوْبَتِهِمْ عَنْهَا ﴿٤﴾ وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ أَيِ حَالِهِمْ وَشَأْنِهِمْ وَعَمَلِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالتَّائِبِينَ وَالتَّوْفِيقِ .

[٢] وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿٢﴾ الثَّابِتُ بِالْوَقْعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ ﴿٣﴾ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ سِتْرَ بَيَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي لِتَوْبَتِهِمْ عَنْهَا ﴿٤﴾ وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ أَيِ حَالِهِمْ وَشَأْنِهِمْ وَعَمَلِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالتَّائِبِينَ وَالتَّوْفِيقِ .

[٣] ذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنْ فَعْلِهِ تَعَالَى بِالْفَرِيقَيْنِ ﴿١﴾ بَأَنَّ الَّذِينَ بِسَبَبِ أَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ، وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٢﴾ يَشَبِّهُ لَهُمُ الْأَشْيَاءَ فَيُلْحِقُ بِكُلِّ قَوْمٍ مِنَ الْأَمْثَالِ أَشْكَالًا .

[٤] فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ وَأَصْلُهُ : فَاضْرِبُوا الرِّقَابَ ضَرْبًا حَتَّى إِذَا أَنْخَسْتُمُوهُمْ غَلَبْتُمُوهُمْ وَقَهَرْتُمْ مَنْ لَمْ تَضْرِبُوا رِقَبَتَهُ مِنْهُمْ فَاسْرِقُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا سَكُوهُمْ كَيْلًا يَقْتُلُوكُمْ فِيهِرَبُوا مِنْكُمْ فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً فَمَا تَمْنُونُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَتَطْلِقُونَهُمْ بِغَيْرِ عَوْضٍ ، وَإِمَّا تَفْدُونَ فِدَاءً فَتَطْلِقُونَهُمْ بِعَوْضٍ مَالٍ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا إِلَى انْقِضَاءِ الْحَرْبِ . وَالْأَوْزَارُ كَالْأَهْمَالِ وَزَنًا وَمَعْنَى : وَقِيلَ : أَوْزَارُهَا : آثَامُهَا ، يَعْنِي : حَتَّى يَتْرَكَ أَهْلُ الْحَرْبِ الْمُشْرِكُونَ شُرَكَاهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ ذَلِكَ الْأَمْرُ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ لَانْتَقَمَ مِنْهُمْ بِعُقُوبَةٍ عَاجِلَةٍ وَكَفَاكَمُ ذَلِكَ كُلُّهُ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ لِيُخْتَبَرَ بِهِمْ فَيَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ فِيْجَازِيَهُمْ ، وَيَبْلُوَهُمْ بِكُمْ فَيَعْقَبَ بِأَيْدِيكُمْ مِنْ شَاءَ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْبِيْ إِلَى الْحَقِّ وَالَّذِينَ قُتِلُوا أَيِ اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنْخَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُصْلِحَ بِأَلْفِهِمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسَا لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ﴿١٢﴾ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٣﴾ وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكَنَّهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ مِّنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّيْبِ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَارًا تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

الرعد : ٣٥ . [١٦] وَمِنْهُمْ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْكَافَرِ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَيِ اللَّهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يَدْخُلُهَا الْهُدَى لِإِبَائِهِمْ عَنْهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ أَيِ آرَاءَهُمْ ، لَا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْبِرَّهَانُ .

[١٧] وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالْمَشْيِ مَعَ الْحُجَّةِ زَادَهُمْ هُدًى بَيَانًا لِحَقِيقَةِ مَا جَاءَهُمْ وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ أَغَانَهُمْ عَلَيْهَا ، أَوْ آتَاهُمْ جَزَاءَ تَقْوَاهُمْ ، أَوْ بَيَّنَّ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ . [١٨] فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : أَيِ أَمَارَاتِ اقْتِرَافِهَا ، فَبِعِثَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ لِأَنَّهُ خَاتَمَ الرِّسَالِ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الدِّينَ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى الْعَالَمِينَ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ يَعْنِي : أَنْ لَيْسَ ذَلِكَ بِوَقْتِ نَفْعِهِمْ فِيهِ التَّذَكُّرُ وَالنَّدَمُ لِأَنَّهُ وَقْتُ الْمَجَازَاةِ لَا وَقْتُ اسْتِعْتَابِ وَاسْتِعْمَالِ .

[١٩] فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية ويجوز لك وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق ومالك كل شيء واستغفر لذنوبك وللمؤمنين والمؤمنات وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها ، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول : (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطيائي وعمدي وكل ذلك عندي) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ يَعْلَمُ مُتَصَرِّفَكُمْ فِيمَا تَتَصَرَّفُونَ فِيهِ وَإِقَامَتَكُمْ عَلَى مَا تَقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ فَيَجَازِيكُمْ بِهِ .

[٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الثابت بالواقع ونفس الأمر ﴿كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لتوبتهم عنها ﴿وَأَصْلَحَ بِالْحُكْمِ﴾ أي حالهم وشأنهم وعملهم في الدنيا بالتأييد والتوفيق .

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من فعله تعالى بالفريقين ﴿بِأَنَّ﴾
الذين ﴿بِسَبَبِ﴾ أن الذين ﴿كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ﴾، وَأَنَّ
الذين آمَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿يَسْبَهُ لِهِمُ الْأَشْبَاهُ فَيُلْحِقُ بِكُلِّ قَوْمٍ مِنْ
الْأَمْثَالِ أَشْكَالًا﴾.

﴿٤﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴿٥﴾ وَأَصْلُهُ : فَاضْرِبُوا الرِّقَابَ ضَرْباً حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ ﴿٦﴾ وَغَلَبْتُمُوهُمْ وَقَهَرْتُمْ مَنْ لَمْ تَضْرِبُوا رِقَبَتَهُ مِنْهُمْ فَأَسْرَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ ﴿٧﴾ فَأَمْسِكُوهُمْ كَيْلًا يَقْتُلُوكُمْ فَيَهْرَبُوا مِنْكُمْ ﴿٨﴾ فَإِمَّا مَثَابُكُمْ وَإِمَّا فِدَاءٌ ﴿٩﴾ فَإِمَّا تَحْتَمِلُونَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَتَطْلِقُونَهُمْ بِغَيْرِ عَوْضٍ ، وَإِمَّا تَقْدُونَ فِدَاءً فَتَطْلِقُونَهُمْ بِعَوْضٍ مَالٍ ﴿١٠﴾ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا إِلَى انْقِضَاءِ

الحرب . والأوزار كالأحمال وزناً ومعنى . وقيل : أوزارها : آثامها ، يعني : حتى يترك أهل الحرب المشركون شركهم ومعاصيهم ﴿ ذَلِكْ الْأَمْرُ ﴾ ولَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ﴿ لَانْتَقَمَ مِنْهُمْ بِعُقُوبَةٍ عَاجِلَةٍ وَكَفَاكُم ذَلِكَ كُلَّهُ ﴾ وَلَكِنْ لِيُنَلِّوْا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ لِيُخْتَبَرَكُمْ بِهِمْ فَيَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ فَيُجَازِيَهُمْ ، وَيَلْهَوْهُمْ بِكُمْ فَيُعَاقِبَ بِأَيْدِيكُمْ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْسِبَ إِلَى الْحَقِّ ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا ﴾ أَي اسْتَشْهَدُوا ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فَكَانَ يُضِلُّ أَعْمَالَهُمْ .

[٥] ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ . [٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ ﴿بَيْنَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِهِ تَعْرِيفًا﴾ يشوق كلَّ مؤمن أن يسعى لها .

[V] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُم وَيُثِّبْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿بِالظَّفَرِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ وَإِثْرَ دِيَارِ الْعَدُوِّ .

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ﴾ أي خزيًا وشقاءً ﴿وَأُضْلَ أَعْمَالُهُمْ﴾ جعلها على غير هُدىً واستقامة .

[٩] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ من الحق ، وشايعوا ما ألقوه من الباطل ﴿فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ كعبادتهم الأوثان حيث لم تنفعهم بل أوبقهم بها فأصلحهم النَّارَ .

﴿١٠﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١﴾ مِنَ الْأُمَمِ الْمَكْذُوبَةِ رُسُلَهَا الرَّادَّةِ نَصَائِحَهَا ﴿٢﴾ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿٣﴾ مَا اخْتَصَ بِهِمْ وَكَانَ لَهُمْ ﴿٤﴾ وَلِلْكَافِرِينَ ﴿٥﴾ الْمَكْذِبِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﴿٦﴾ أَمْثَالُهَا ﴿٧﴾ أَمْثَالُ عَاقِبَةِ تَكْذِيبِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ .

[١١] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ لا ناصر لهم يدفع عنهم العذاب إذا حاق بهم .

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى
إِذَا اتَّخَضْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاكُ فَإِمَّا مَنَابِدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ
أُوزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ
بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَنَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ نَصَرَكُمُ وَيُنِيبُ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَّاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ
وَالنَّارُ مَشْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ
الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدِينَا
مِنْ رَيْبٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ
الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
يُغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى
وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ
وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ أَيْتَانَ
حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفَاً
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ
أَهْتَدَوْا رَادُّهُمْ هُدًى وَءَانْتَهُمْ يَقُونَهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ
ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِدُنْيَاكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمْتَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ غير مفكرين في المعاد ولا معتبرين بسنة الله ، كخفلة الأنعام عن الذبح لا هم لهم إلا الاعتلاف والأنعام : هي الغنم والبقر والإبل ﴿وَالنَّارُ مَوْئِي لَهُمْ﴾ مأواهم بعد ماتهم .

[١٣] ﴿وَكَايُنَ﴾ أي : وكم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ يعني مكة ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ .

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ على برهان وُحْجَةٍ وبيان من أمر ربه ، والعلم بوجدانيته ، فهو يعبد على بصيرة منه ﴿كَمْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ فأراه إياه الشيطان حسناً ، فهو مقيم عليه ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ .

﴿١٥﴾ ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي متغير الريح ﴿وَأَنهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ ، وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿كَمَا فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ: ١٩﴾ لا يصدعون عنها ﴿لا يصدر عنها صداعهم كخمر الدنيا ، والصداع: وجع الرأس ولا ينزفون﴾ لا تذهب عقولهم بسكرها ﴿وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ من القذى وما يوجد في عسل الدنيا ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ مَعَاءَهُمْ﴾ من فرط حرارته . وشتان بين الجزأين كما

قال في آية أخرى ﴿ تِلْكَ عِقْبَى الَّذِينَ أَتَقُوا، وَعِقْبَى
 نَفْسِي إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿ أَيُّ
 ؟ فَإِنَّ بَيْتَهُ لَمْ يَسْتَفِدُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ
 عَلَى أَعْيُنِهِمُ الْغُلَامُ ۚ وَهُوَ إِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ ۚ

هم ﴿وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ أعانهم عليها ، أو آتاهم جزاء
شرائطها ﴿قال ابن كثير: أي أمارات اقترابها ، فبعثة
على العالمين﴾ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿يعني :

يجوز لك وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق بك وحادثها ، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال في في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي منصرفكم فيما تصرفون فيه وإقامتكم على ما تقيمون

[٢٠] ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار ﴿ فَإِذَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ ﴾ مبنية لا تقبل نسخاً ولا تاويلاً ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ أي : ذكر فيها الأمر بقتال المشركين ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ شك في الدين وضعف اليقين ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ من فزعهم ورعبهم وجنبهم من لقاء العدو ﴿ فَأُولَىٰ لَهُمْ ﴾ أي : قارب هلاكهم .

[٢١] ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ أي : أمرنا طاعة ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ جد الحال وحضر القتال ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ ﴾ فيما قالوه من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالعمل على موجه ﴿ لَكَانَ ﴾ الصدق ﴿ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ في عاجل دنياهم وأجل معادهم .

[٢٢] ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ إن أعرضتم عن تنزيل الله تعالى وفارقتهم أحكام كتابه وما جاء به رسوله ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بالتغاور والتناهب ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ تعودوا لما كنتم عليه في الجاهلية من التشتت والتفرق بعدما جمعكم الله بالإسلام وألف بين قلوبكم ، وأمركم بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام .

[٢٣] ﴿ أُولَئِكَ ﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ ﴾ عن استماع الحق بسوء اختيارهم ﴿ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الأنفس والأفاق .

[٢٤] ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ قال ابن جرير : أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظمهم بها في أي القرآن ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ فلا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر .

[٢٥] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ ﴾ عادوا لما كانوا عليه من الكفر ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ الحق بواضح الحجج ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ زين لهم ارتدادهم وحملهم عليه ﴿ وَأُمِّلَىٰ لَهُمْ ﴾ ومد لهم في الآمال والأمان ، أو أمهلهم الله تعالى فمد في آجالهم ولم يعاجلهم بالعقوبة .

[٢٦] ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ارتدادهم المذكور ﴿ بَأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ قَالُوا ﴾ وهم المنافقون ﴿ لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ ﴾ لليهود الكارهين نزول القرآن على رسول الله ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ في بعض أموركم ، أو ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد ، والتظاهر على الرسول ، أو الخروج معهم إن خرجوا للقتال ، وهم بنو قريظة والنضير الذين كان المنافقون يوالونهم ويؤادونهم ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ إخفاءهم لما يقولونه لليهود .

[٢٧] ﴿ فَكَيْفَ ﴾ يفعلون ويدفعون ضرر الردة عليهم ﴿ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾ التي ولوها عن الله إلى أعدائه ﴿ وَأَذْبَارُهُمُ ﴾ التي ولوها عن الأعداء إلى الله .

[٢٨] ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي : توفي الهائل ﴿ بَأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسَّخَطَ اللَّهَ ﴾ من إطاعة أعدائه ﴿ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ في معاداتهم ، فأدى بهم إلى الردة ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ التي كانت تفيدهم النجاة من ذلك الضرب ومن الفضيحة الدنيوية .

[٢٩] ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ نفاق ﴿ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ ﴾ أن لن يظهر أحقادهم لرسوله وللمؤمنين فتبقى مستورة . والمعنى : أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال .

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأُمِّلَىٰ لَهُمْ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسَّخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُھُمْ وَلَعَرَفْتُمُھُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنَیْضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ ﴿٢٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُكُمْ أَتَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنَا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٢٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ مَوَالِيكُمْ فَاخْفِئْكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَصْغَانَكُمْ ﴿٢٧﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تَدْعُونَ لِنُفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٢٨﴾

[٣٠] ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُھُمْ ﴾ لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية ﴿ فَلَعَرَفْتُمُھُمْ ﴾ بسماهم ﴿ بعلامتهم التي نسّمهم بها ﴾ ولتعرفنهم في لحن القول ﴿ أي أسلوبه وما يرومون من غير إيضاح به ﴾ واللّٰهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿ فيجازيكم بحسب قصدكم . [وفي الحديث : (ما أسرّ أحد سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها إن خيراً فخير وإن شراً فشر) - ابن كثير] .



[٣١] ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ لنعلم أهل المجاهدة في سبيل الله والصبر على المشاق ﴿ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ أفانين أقوالكم وضروب بياناتكم وأعمال قوة ألسنتكم في نشر الحق والصدق به والدأب عليه ، وهل هو خالص لله أم محاباة لأحد .

[٣٢] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ، لَنَیْضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ ﴾ فتذهب سدى لا تثمر لهم نفعاً .

[٣٣] ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [عن قتادة قال : من استطاع منكم أن لا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيئ فليفعل ، ولا قوة إلا بالله ، فإن الخير ينسخ الشر ، وإن الشر ينسخ الخير ، وإن ملاك الأعمال خواتيمها - ابن جرير] .

[٣٤] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ لكن يعدّهم .

[٣٥] ﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد الذين اعتدوا عليكم ، وصدّوا عن سبيل الله ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ﴾ أي الصلح والمسالمة ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ الأغلبون ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ بنصره ما تمسكتكم بحبله ﴿ وَلَنْ يَتَرَكُكُمْ أَتَعْلَمُونَ ﴾ لن ينقصكم ثوابها ويضيعها . [روى ابن جرير عن قتادة في قوله ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ﴾ قال : لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتها ، ودعتها إلى الموادة ، وأنتم أولى بالله منهم والله معكم] .

[٣٦] ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ ﴾ فلا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك الجهاد والتقوى ﴿ وَإِنْ تَوَمَّنَا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ لأنه الغني عنكم ، وإنما يريد منكم التوحيد ونبد الأصنام والطاعة لما أمر والنهي عما نهى عنه .

[٣٧] ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمْ مَوَالِيكُمْ فَاخْفِئْكُمْ تَبَخَّلُوا ﴾ أي : إن يسألكم مواليتكم بالمسألة تبخلوا بها وتمنعوها ضناً منكم بها . والإحفاء : المبالغة ﴿ وَبُخْرَجَ أَصْغَانَكُمْ ﴾ أي أحقادكم وكراهتكم لدين يذهب بأموالكم .

[٣٨] ﴿ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تَدْعُونَ لِنُفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في جهاد أعدائه ونصرة دينه ﴿ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلْ ﴾ بالنفقة فيه ﴿ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ لأنه يحرمها الأجر ويكسبها الوزر ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ﴾ عن كل ما سواه ﴿ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ﴾ والكل فقير إليه ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا ﴾ عما جاءكم به محمد ﷺ ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ يهلككم ثم يأتي بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم يؤمنون به ويعملون بشرائعه ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ لا يبخلون بما أمروا من النفقة في سبيل الله ولا يضيّعون شيئاً من حدود دينه .

[سورة الفتح]

سميت به لدلالاتها عليه ، وهي مدنية . وعدد آياتها تسع وعشرون آية . روى البخاري أن النبي ﷺ قال في بعض أسفاره لعمر رضي الله عنه : (لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) ، يعني سورة الفتح .

[١] ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ المراد صلح الحديبية . [عن أنس رضي الله عنه قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نُسكنا فنحن بين الحزن والكآبة أنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ فقال رسول الله ﷺ : (لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا وما فيها كلها) - النيسابوري .]

[٢] ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى ، وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل [قال ابن جرير في تفسير ما سبق : يقول الله تعالى ذكره : إِنَّا حَكَمْنَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ حَكْمًا لَمْ نَسْمَعْهُ أَوْ بَلَّغْهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ وَنَاصَبَكَ مِنْ كُفَّارٍ قَوْمِكَ ، وَقَضَيْنَا لَكَ عَلَيْهِمْ بِالْغَنَمِ وَالْظَفَرِ ، لِشُكْرِ رَبِّكَ وَتَحْمَدِهِ عَلَى نِعْمَتِهِ بِقَضَائِهِمْ لَكَ عَلَيْهِمْ ، وَفَتْحِهِ مَا فَتَحَ لَكَ ، وَلِتُسَبِّحَهُ وَتَسْتَغْفِرَهُ ، فَيَغْفِرَ لَكَ بِفَعَالِكَ ذَلِكَ رَبِّكَ ، مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ قَبْلَ فَتْحِهِ لَكَ مَا فَتَحَ ، وَمَا تَأَخَّرَ بَعْدَ فَتْحِهِ لَكَ ذَلِكَ مَا شَكَرْتَهُ وَاسْتَغْفَرْتَهُ] ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ بإظهاره إياك على عدوك ورفعته ذكرك ﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ يرشدك طريقاً من الدين لا عوج فيه .

[٣] ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ قوياً منيعاً لا يغلبه غالب ولا يدفعه دافع .

[٤] ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ السكون والطمأنينة إلى الإيمان والحق ﴿ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ يقيناً منضمّاً إلى يقينهم ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي أنصار ينتقم بهم من يشاء من أعدائه ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ في تقديره وتدبيره .

[٥] ﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ جزاء ما فعلوا ﴿ وَيُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ فيغفرها لهم ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . [٦] ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ، وَالظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السَّوَاءِ ﴾ ظن الأمر السوء وهو ألا ينصر تعالى رسوله والمؤمنين ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ ﴾ بالتعذيب في الدنيا بأنواع الوقائع كالقتل والإهانة والإذلال ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ بالقهر والحجب ﴿ وَلَعَنَهُمْ ﴾ بالطرد والإبعاد في الآخرة ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

[٧] ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ قال القاشاني : كررها ليفيد تغليب الجنود الأرضية على السماوية في المنافقين والمشركين بعكس ما فعل بالمؤمنين ، وبدل (عليماً) بقوله (عزيراً) ليفيد معنى القهر والقمع .

[٨] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ﴾ على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ لمن استجاب لك بالجنة ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ لمن خالفك بالنار .

[٩] ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ غدوة وعشياً ، أو دائماً ، بجعل طرفي النهار كناية عن كل الأوقات .

سُورَةُ الْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنَ السَّوَاءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُتَّئِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

[١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ تحت الشجرة ، على قتال قريش ، وأن لا يفرُّوا عند لقاء العدو ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ لأن عقد الميثاق مع الرسول ﷺ كعقده مع الله من غير تفاوت ، فالمقصود من توثيق العهد مراعاة أوامره سبحانه ونواهيه ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ كأنهم يبايعون الله ببيعتهم نيابة ﷺ ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ فمن نقض العهد فإنما يعود بالضرر عليه خاصة ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُتَّئِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وهو الجنة . وكانت هذه البيعة هي بيعة الرضوان تحت شجرة سُمِّية بالحديبية في العام الذي منعت فيه قريش رسول الله ﷺ من العمرة ، ثم عاهدته قريش بعدها على الصلح الذي أدى إلى الفتح .

[١١] ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ [عن مجاهد قال : قال أعراب المدينة : جهينة ومزينة ، استتبعهم لخروجه إلى مكة ، قالوا : نذهب معه إلى قوم قد جاؤوه ، فقتلوا أصحابه فنقاتلهم ! اعتلوا بالشغل - ابن جرير] ﴿ يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [قال ابن جرير : وذلك مساءلتهم رسول الله ﷺ بالاستغفار لهم ، يقول : يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على ما سلف منهم من معصية الله في تخلفهم] ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ﴾ لا أحد يمنع تعالى من ذلك ، إشارة إلى عدم فائدة استغفارهم لهم ، مع بقائهم على كذبهم ونفاقهم ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فيجازيكم عليه .

[١٢] ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ﴾ اعتقدتم أنه لن يرجع ﴿ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ وأن قريش تستأصلهم ﴿ وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ حسن الشيطان ذلك وصححه حتى حجب لكم التخلف ﴿ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا ﴾ وهو عدم نصر الرسول وعدم رجوعه مع المؤمنين من سفرهم هذا ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ هالكين مستوجبين لسخط الله ، أو فاسدين في أعمالكم ونياتكم .

[١٣] ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ من النار تستعر عليهم . [١٤] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ يقول لهم : بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله ﷺ ، فإن الله يغفر للتائبين ، لأنه لم يزل ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده ، وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها .

[١٥] ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ ﴾ أي بعدد الاشتغال بأموالهم وأهليهم بعد طلبهم الاستغفار لهم ﴿ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ﴾ وذلك ما وعد الله أهل الحديبية من غنائم خيبر ﴿ ذَرُونَا ﴾ اتركوا ﴿ نَتَّبِعْكُمْ ﴾ نشهد معكم قتال أهلها ﴿ يُرِيدُونَ ﴾ بعد ظهور كذبهم في الاعتذار وطلب الاستغفار ﴿ أَنْ يَبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ أي وعده الذي وعد أهل الحديبية ، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم ، ووعدهم ذلك عوضاً من غنائم أهل مكة إذ انصرفوا عنها على صلح ولم يصيبوا منها شيئاً ﴿ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل مرجعنا إليكم فليس لكم أن تتبعونا إلى خيبر لأن غنيمتها لغيركم ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ تكرهون لنا أن نصيب معكم مغناً ولذلك تمنعوننا من الخروج ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴾ عن الله تعالى ما لهم وما عليهم من أمر الدين ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إلا فهماً قليلاً ، وهو ما كان من أمور الدنيا .

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُ عُنُونٍ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ عن المسير معك ﴿سِتْرُ عُنُونٍ إِلَى﴾ قتال ﴿قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ﴾ في القتال ﴿شَدِيدٍ﴾ بحيث لا دخل للصالح والأمن فيه ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ يدخلون في الدين من غير حرب ولا قتال ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني الغنيمة في الدنيا ، والجنة في الآخرة ﴿وإن تتولوا كما توليتم من قبل﴾ عن الحديبية ﴿يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لتضاعف جرمكم .



[١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ ولا على الأعرج حَرْجٌ ﴿إِذْ لَا يُمْكِنُ الْكُرُّ وَالْفَرْ﴾ ولا يقوى قوة القائم ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾

إذ لا قوة له في دفع العدو ، فضلاً عن الغلبة عليه [عن قتادة قال : هذا كله في الجهاد - ابن جرير] ومن يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ومن يتولَّ ﴿عن طاعتها﴾ وإن كان أعمى أو أعرج أو مريضاً ﴿يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالمدلة في الدنيا ، والنار في الآخرة .

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ يعني بيعة الرضوان ، بايعه أصحابه رضي الله عنهم بالحديبية تحت الشجرة على مناجزة قريش وأن لا يفروا أو يولوهم الأدبار ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والعزيمة على الوفاء بالعهد ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ أنزل الصبر والطمأنينة والوقار ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قال ابن جرير : وعوضهم في العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحاً قريباً وذلك فيما قيل : فتح خيبر .

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُ عُنُونٍ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

[١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ وهي مغنم خيبر ، وكانت أرضاً ذات عقار وأموال فقسما رسول الله ﷺ على أهل بيعة الرضوان خاصة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ذا عزة في انتقامه من أعدائه ، وحكمة في تدبير خلقه .

[٢٠] ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ يعني مما يفيء عليهم من غنائم الكفار في سبيل الجهاد ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يعني غنائم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي أيدي أهل خيبر ، فانتصرت عليهم ، أو أيدي المشركين من قريش عنكم يوم الحديبية ﴿وَلِتَكُونَ تِلْكَ الْكَفَّةَ أَوْ الْغَنِيمَةَ عِبْرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْرِفُونَ بِهَا أَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَكَانٍ﴾ ، وأنه ضامن نصرهم ، والفتح لهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ وبصيرة و يقيناً وثقة بفضل الله .

[٢١] ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ قد أحاط الله بها ﴿وَهِيَ مَغَانِمُ هَوَازِنَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ﴾ . وقال الحسن : هي فارس والروم . وعن قتادة هي مكة . ومعنى ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي أعدها لكم ، فهي كالشيء الذي أحيط به من جميع جوانبه فهو محصور لا يفوت ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ لا يبعد عليه إذا شاء . [٢٢] ﴿لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ﴾ أي ولوكم أعجازهم في الحرب ، فعل المنهزم من قرنه في الحرب ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ لا يجدون من يواليهم على حربكم ، وينصرهم عليكم .

[٢٣] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ مضت في كفار الأمم السالفة مع مؤمنها ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي تغييراً .

[٢٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى منة الصلح ونعمته في الحديبية ، وأن ذلك عناية منه تعالى بما حفظ من أنفسهم وأموالهم ، ولطف بهم يومئذ لما ادخر لهم بعده ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ فيجازيكم عليه .

[٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هؤلاء المشركون من قريش ، هم الذين جحدوا توحيد الله ﴿وَصَدُّوا هُدًى﴾ وهو ما يهدي المسجد الحرام والهدى ﴿وَصَدُّوا هُدًى﴾ وهو ما يهدي إلى مكة من النعم ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوساً ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ محل نحره . وفي الآية دليل على أن الحرم هو محل ذبح الهدي ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ حبسهم المشركون عنكم ، فلا يستطيعون الخروج من مكة ، ولذلك لا تعرفون أنهم مؤمنون ﴿أَنْ تَطَّوُّوهُمْ﴾ تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح ببدل الصلح ﴿فَتَضْيَبُكُمُ مِنْهُمْ مَعْرَةً﴾ إثم وغرامة ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ تقتلوهم لجهلكم بليانهم . والمعرة : هي كفارة قتل الخطأ ، وذلك عتق رقبة مؤمنة لمن ملكها أو صيام شهرين ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ﴾ ليدخلكم في رحمته الكاملة بحفظكم من المعرة . وقيل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ﴾ عبارة عن رغب في الإسلام من المشركين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تميز مشركو مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالقتل والأسر أو ما سواهما .

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ ، حمية الجاهلية ، والأنفة وهي الاستكبار والاستنكاف ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ وعلى المؤمنين ﴿أَي : فَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَأْبُوا ذَلِكَ ، وَيَقَاتِلُوا عَلَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ . يعني الوقار والتثبت ، حتى صالحوهم على أن يعودوا في العام التالي ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ الإلزام هنا مجاز عما ذكر من اختيارها لهم وأمرهم بها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ متصفين بمزيد استحقاق لها . وقيل : أحق بها من الكفار ﴿وَأَهْلُهَا﴾ المستأهلين لها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلم حق كل شيء ، فيسوقه إلى مستحقه .

[٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، محللين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا ﴿مِنْ الْخَيْرِ وَالْمَصْلَحَةِ فِي صَرْفِكُمْ عَنْ مَكَّةَ وَدُخُولِكُمْ إِلَيْهَا عَامَكُمْ ذَلِكَ﴾ فجعل من دون ذلك ﴿أَي قَبْلَ دُخُولِكُمْ الَّذِي وَعَدْتُمْ بِهِ فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ﴾ فتحاً قريباً ﴿يعني الصلح الذي جرى بين رسول الله ﷺ وبين مشركي مكة﴾ .

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ بالبيان الواضح ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أي الإسلام . وقال ابن كثير : أي بالعلم النافع والعمل الصالح ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ قال ابن جرير : أي ليبطل به الملل كلها ، حتى لا يكون دين سواه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ يشهد سبحانه على ما وعده من إظهار دينه على جميع الأديان .

[٢٩] ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ أي أصحابه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ هم شدة وغلظة على الكفار المحاربين لهم ، الصَّادِّين عن سبيل الله ، وعندهم تراحم فيما بينهم ﴿تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

بعض السلف : من كثرت صلاته بالليل ، حسن وجهه بالنهار ﴿ذلك﴾ الوصف ﴿مثلهم في التَّوْرَةِ﴾ صفتهم العجيبة فيها ﴿ومثلهم في الإنجيل﴾ وكذلك صفتهم في الإنجيل ﴿كرزٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ﴾ أي فراخه أو سنبله أو نباتاته ﴿فأزره﴾

فقواه ﴿فاستغلظ﴾ فغلظ الزرع واشتد ﴿فاستوى على سوقه﴾ استقام على قصبه . والسوق : جمع ساق ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ الذين زرعوه ﴿ليغيط بهم الكفار﴾ كأنه قيل : إنما قواهم وكثرهم ليغيط بهم الكفار ﴿وعد الله الذين آمنوا﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿وعملوا الصالحات منهم ، مغفرة﴾ عفوا عما مضى من ذنوبهم ﴿وأجراً عظيماً﴾ ثواباً جزيلاً .

[سورة الحجرات]

مدنية . وعدد آياتها ثمان عشرة آية . وقد انفردت هذه السورة بأدب جليلة أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به نبيه ﷺ من التوقير والتبجيل .

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذين أقرؤا بوحداية الله ونبوة نبيه ﷺ ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله ، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في التقديم أو مخالفة الحكم ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي فحقيق أن يتقوا ويراقب . وعموم الآية النهي عن التعجيل في الأمر والنهي ، بدون معرفة حكم الشرع وموقف الرسول ﷺ . ويحتج بهذه الآية في اتباع الشرع في كل شيء ، ويحتج به في تقديم النص على القياس .

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق ، فإن رفع أصواتكم فوق صوته من سوء الأدب بمكان كبير ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل تعمدوا في مخاطبته القول اللين القريب من الهمس الذي يضاد الجهر ، كما تكون مخاطبة المهيب العظيم . وقيل : لا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضاً : يا محمد يا محمد ، بل يا نبي الله ، يا رسول الله ، خافة ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ إذا رفعت أصواتكم فوق صوته ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ لا تعلمون ولا تدرون بحبوطها .

[٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ يبالغون في خفصها ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴿أَيَّ اصْطَفَاهَا وَأَخْلَصَهَا لِلتَّقْوَى لَا تَقَاتِهِ بِأَدَاء طَاعَتِهِ واجتناب معاصيه كما يمتحن الذهب بالنار ليخلص من شوائبه﴾ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴿ثواب جليل ، وهو الجنة .

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ الذين يدعونك من خلف مساكنك استعجالاً لخروجك إليهم ولو بترك ما أنت فيه من المشاغل ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فلا يراعون حرمة أنفسهم ولا حرمتك .

سورة الحجرات

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

سورة الحجرات

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّنُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْسِمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ لكان خيراً لهم واللَّهُ غفورٌ رحيمٌ ﴿لن تاب من المعاصي في هذا وسواه . قال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ ، كما يكره في حياته لأنه محترم حيّاً وفي قبره .

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ فاستظهروا صدقه من كذبه ، وذلك كراهة ﴿أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ أي قوماً برءاء مما قدفوا به بغية أدبتهم ثم يظهر لكم عدم استحقاقهم للعقوبة والإيذاء ﴿فتصحيحوا على ما فعلتم نادمين﴾ . [روى ابن جرير

عن يزيد بن رومان أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم خافهم ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، ومنعوا ما قبلهم من صداقاتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم ، فبينما هم في ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ولنؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة ، فاستمر راجعاً ، فبلغنا أنه يزعم لرسول الله ﷺ أننا خرجنا إليه لنقاتله ، ووالله ما خرجنا لذلك ، فأنزل الله في الوليد بن عقبة وفيهم ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ الآية .

[٧] ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ لو كان الرسول يعمل في الأمور بأرائكم ويقبل كل ما تقولون لأصابكم شدة ومشقة في كثير من الأمور ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان

وزينه في قلوبكم﴾ فما أجدركم أن تطيعوا رسول الله وتأمنوا به فيقيمكم الله بذلك العنت ﴿وكره إليكم الكفر﴾ بالله ﴿والفسوق﴾ يعني الكذب [والخروج عن طاعة الله] ﴿والعصيان﴾ مخالفة أمر الرسول ﷺ وتضييع ما أمر به ﴿أولئك هم الراشدون﴾ السالكون طريق الحق . [٨] ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ أي إحساناً منه ونعمة أنعمها عليكم ﴿والله عليم حكيم﴾ . [٩] ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى﴾ فإن أبث إحدى طائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله وتعذت ما جعله الله عدلاً بين عباده واستجابت الأخرى لحكمه تعالى ﴿فقاتلوا التي تبغى﴾ التي تأبى وتعدي ﴿حتى تفيء إلى أمر الله﴾ حتى ترجع إلى حكم الله ﴿فإن فاءت﴾ فإن رجعت عن غيرها إلى حكمه تعالى ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بالإنصاف ﴿وأقسطوا﴾ اعدلوا في أمركم كله ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ فيجازيهم أحسن الجزاء . [١٠] ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله ﴿واتقوا الله لعلكم ترحموا﴾ . [١١] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ أي لا يهزأ رجال من رجال ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ﴿عممت الآية النهي عن جميع معاني السخرية ، فلا يسخر مسلم من مسلم لا لفقره ولا لذنبه ولا لغير ذلك﴾ ولا تلمزوا أنفسكم ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ التنازع بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكره من اسم أو صفة ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ، أن يذكروا بالفسق ﴿ومن لم يتب﴾ عن نبد الألقاب أو اللمز أو السخرية ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوا العقاب بفعلهم ما نهوا عنه .

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴿١﴾ مِنْ أَدَمَ وَحَواءَ ، أَوْ مِنْ ماءِ ذَكَرٍ مِنَ الرِّجَالِ ، وَماءِ أُنْثَىٰ مِنَ النِّسَاءِ ، فَمَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَدِي بِمِثْلِ مَا يَدِي بِهِ الْآخَرُ ، سِوَاءَ بَسْوَاءٍ فَلَا وَجْهَ لِلتَّفَاخُرِ وَالتَّفَاضُلِ فِي النِّسَبِ ﴿٢﴾ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴿٣﴾ لَا أَعْظَمَكُمْ بَيْتًا ، وَلَا أَكْثَرَكُمْ عَشِيرَةً ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٥﴾ بِظُؤَاهِرِكُمْ وَبِوِطَانِكُمْ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافَةٌ .

﴿ ١٤ ﴾ قالت الأعرابُ ﴿ أَي الْمحدث عنهم في أول السورة ﴾ ﴿ آمَنَّا ﴾ بالله ورسوله ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴾ لأن الإيمان قول وعمل ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ولما يَدْخُلُ الإيمانُ في قلوبِكُمْ ﴾ فإن لكل حق حقيقة ، ولكل دعوى شاهد ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ رَحِمِهِ ﴾ لِمَنْ أَطَاعَهُ وتاب إليه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِذِينَكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

شَيْئًا ﴿ لَا يَظْلِمُكُم مِّنْ أَجُورِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا وَلَا يَتَقَصِّمُكُم مِّنْ ثَوَابِهَا ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
يَقِيعُ فِي نَفُوسِهِمْ شَكَّ فِيمَا آمَنُوا بِهِ مِنْ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَنَبُوءَةَ نَبِيِّهِ ﴾ ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
كَفَّارَ الْمُعْتَدِينَ مِنْ بَابِ قَصْرِ الْعَامِ عَلَى أَهَمِّ أَفْرَادِهِ وَأَعْلَاهَا ، وَإِلَّا فَسَبِيلُ اللَّهِ يَعْمَلُ
لَهُ ، لِحِرْصِ الْإِنْسَانِ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ مَالَهُ شَقِيقُ الرُّوحِ ﴾ ﴿ أَوَّلَيْكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ﴿ لظُهُورِ
لِّمُؤْمِنِ اللَّهِ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
لَكَ ﴾ ﴿ قُلْ لَا تَتَّبِعُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ﴾ ﴿ إِذْ لَا ثَمَرَةَ مِنْهُ ﴾ ﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُفْرُكُمْ
قُلُوبِكُمْ أَنْكُمْ كَاذِبُونَ ، لِإِطْلَاعِهِ عَلَى الْغُيُوبِ .

سَلَوْنَ ﴿١٠﴾ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : جَاءَتْ بَنُو أُسْدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفَقَهُهُمْ قَلِيلٌ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ) وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، رَوَاهُ الْبُزَارُ .

[سورة ق]

مكية . وعدد آياتها خمس وأربعون آية . وتسمى سورة
الباسقات . عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان ،
قالت : ما حفظت ﴿ق﴾ إلا من رسول الله ﷺ . كان
يخطب بها كل جمعة .

[١] ﴿ق﴾ حرف من حروف التهجي المفتح بها أوائل السور، وتُقرأ قاف. ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ ذي المجد والشرف على غيره من الكتب.

[۲] ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ من جلدتہم ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ تفسیر لتعجبہم .

[٣] ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أي كيف سنرجع أحياء بعد موتنا ، وقد تحللت أجسادنا وصارت تراباً .

[٤] ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي ما تأكل من أجسامهم بعد مماتهم ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها ، أو محفوظ من التغير .

[٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ وهو القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾
 من غير تأمل وتفكير ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مُرِيحٍ﴾ أي
 مضطرب .

﴿٦﴾ ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ أي هؤلاء المكذِّبون بالبعث ﴿إِلَى السَّاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيَ نَاهَا﴾ أي رفعناها بغير عمد ﴿وَزَيَّنَّاها﴾ بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ وما لها من صدوع وفتوح .

[٧] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ ﴿سَطْنَاهَا﴾ ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾

من كل زوج ﴿ من كل صنف ﴾ بهيج ﴿ حسن المنظر ﴾ ، مفكر في بدائع صنعه .

مار ﴿ وَحَبِّ الْحَصِيدِ ﴾ الزرع المحصود من سائر أنواع متراكم بعضه فوق بعض .

ت أنواع النبات والزهور ﴿ كذلك الخُرُوج ﴾ شبه بعث

وَوُثِّمُوا ۖ وَهُمْ الَّذِينَ جَادَلُوا صَاحِبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَتَلُوا
 رِجَالًا .

كَيْلَ وَالْمِيزَانِ ﴿١٠١﴾ وَقَوْمٌ تَبِعُوا ﴿١٠٢﴾ قَالَ الْمَاهِمِيُّ : الْمُجَادِلُونَ ﴿١٠٣﴾ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٠٤﴾ فَوَجِبَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَالنَّقْمَةُ .

بِسِّ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٠﴾ هم معترفون بالخلق الأول

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُم مَّا تَوْسَّوُسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ﴾ أي ما يخطر بالبال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو حبل الحلق .

[١٧] ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ﴾ وهذا القرب المذكور يكون حين يتلقى الملكان الحفيظان ما يتلفظ به .

[١٨] ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ أي ملكٌ يرقب عمله ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر .

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ شدته الشاغلة للحواس المذهلة للعقل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي الموعود بالحق ، والأمر المحقق ، وهو الموت ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيذٌ﴾ أي : تفر .

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة البعث ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ وقت تحقيق الوعيد بشهود ما قَدَّمَ من الأعمال وما أخر .

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال ابن جرير : سائق يسوقها إلى الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر .

[٢٢] ﴿لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ المقصود أنه كشف الغطاء عن البرِّ والفاجر ، ورأى كل ما يصير إليه .

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ قرين هذا الإنسان الذي جيء به يوم القيامة معه سائق وشهيد ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ حاضرٌ مُعَدٌّ محفوظ .

[٢٤] ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ خطاب

من الله تعالى للسائق والشهيد ، والكفار: المبالغ في جحده وحادية الله تعالى ، وما جاء به رسوله ﷺ . والعنيد: المعاند للحق . [٢٥] ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ الكلي وهو الإسلام ، ﴿مُعْتَدٍ﴾ على الناس ﴿مُرِيبٍ﴾ شاك في الحق . [٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ عبد معه معبوداً آخر من خلقه ﴿فَسَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ أي عذاب جهنم . [٢٧] ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ وهو شيطانه الذي كان موكلاً له في الدنيا : ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ بِالشَّرِّ وَالْكَفْرِ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ بنفسه . [٢٨] ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ ، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ لا تختصموا اليوم فلا فائدة في اختصاصكم ، وقد قَدَّمْتُ إليكم في الدنيا بالوعيد لمن كفر بي وعصاني . [٢٩] ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ قال ابن جرير : أي ما يُغَيِّرُ القول الذي قلته لكم في الدنيا ، وهو قوله : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ولا قضائي الذي قضيته فيها ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي فلا أعدب أحداً بَذَنْبٍ غيره . [٣٠] ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ فعن مجاهد قال : وعدها الله ليملائها فقال : هلا وقيتك ؟ قالت : وهل من مسلك ؟! وقيل معناه : زدني . [٣١] ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ﴾ أي قُرِبت وأدريت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا ربهم ﴿غَيْرِ بَعِيدٍ﴾ مكاناً غير بعيد . [٣٢] ﴿هَذَا الثَّوَابُ أَوْ الْإِزْلَافُ﴾ ما تُوعَدُونَ ﴿أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ﴾ لكل أَوَابٍ ﴿تَائِبٌ مِنْ ذُنُوبِهِ﴾ حفيظٌ ﴿حَافِظٌ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ وَمَا اتَّعَمَّنَهُ عَلَيْهِ﴾ . [٣٣] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ خاف الله في سره ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ جاء ربه بقلب تائب من ذنوبه .

[٣٤] ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ يقال لهم : ادخلوا هذه الجنة بأمان من أهم والحزن والخوف ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ جزاء ما قَدَّمُوا .

[٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ مما تشتهي نفوسهم ، وتلذذه أعينهم ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ مما لا يخطر على بالهم ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت .



وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُم مَّا تَوْسَّوُسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيذٌ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوْفِعٌ ﴿٦﴾

الحساب ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور . [٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ في الدنيا بإفاضة نور الحياة أو قطعه ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ مصير الجميع إلينا يوم القيامة . [٤٤] ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ فيخرجون منها مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ سهل بلا كلفة . [٤٥] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يعني مشركي مكة ، وهو تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي بمسلط ومسيطر تقهرهم على الإتيان ﴿فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ إنها بعثت مذكراً ومبلغاً ، فذكر بها أنزل إليك من يخاف الوعيد الذي أوعده من عصي وطغي ، فإنه ينتفع به .

[سورة الذاريات]

مكية . وعدد آياتها ستون آية . سميت بها لأنها مبتدأ الخيرات ، فأشبهت العناية الإلهية .

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ يعني الرياح التي تذر البخارات ذرُوءاً ، أو النساء الولود فإنهن يذرين الأولاد ، أو الأسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم . وذراً : فرّق وبدد ما رفعه عن مكانه . [٢] ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ أي السُّحُبُ الحاملة للأمطار المنبثة للزروع والأشجار لإفادة الحبوب للزروع والثمار . والوِقْرُ بكسر الواو كالحمل وزناً ومعنى . [٣] ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ السفن الجارية في البحر بسهولة ، أو الرياح الجارية في مهايتها ، أو الكواكب التي تجري في منازلها . [٤] ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾ الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها .

[٥] ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ﴾ جواب القسم ، والموعود هو قيام الساعة وبعث الموتى من قبورهم .

[٦] ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ أي الجزاء على الأعمال ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ﴿لَوْافِعُ﴾ لحاصل .

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ قبل هؤلاء المشركين من قريش ﴿مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوة كعاد وثمود وفرعون ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ فضربوا فيها وساروا وطافوا أقاصيها ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ هل كان لهم بتنقيتهم في البلاد من معدل عن الهلاك الذي وُعدوا به لتكذيبهم الحق .

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في إهلاك القرون السالفة ﴿لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ من كان له عقل من هذه الأمة ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ .

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي ما أصابنا إعياء . وهو رد على أهل الكتاب الذين يقولون إنه استراح في اليوم السابع .

[٣٩] ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي المشركين من إنكار البعث والتوحيد والنبوّة ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ صلاة الظهر والعصر .

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ العشاء والمغرب ﴿فَسَبِّحْهُ ، وَأَدْبَارَ الشُّجُورِ﴾ النوافل بعد المكتوبات . والمراد بالتسبيح إما ظاهره وهو قرين التحميد أو هو عين الصلاة .

[٤١] ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ استمع لما أخبرك به من أهوال القيامة ، يوم ينادي منادياً من كل مكان قريب . [٤٢] ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ أي صيحة البعث من القبور ، والحشر للجزاء ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالأمر بالإجابة لله إلى موقف

[٧] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ الطرق المختلفة التي هي دوائر سير الكواكب وقيل النجوم .

[٨] ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ متناقض ، مرة يقولون عن القرآن المنزل على محمد : سحر ، ومرة شعر ، ومرة أساطير الأولين .

[٩] ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ يُصرف عن الحق الصريح التام ، إذ لا صرف أشد منه .

[١٠] ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ لعن الآخذون بالتخمين مع ترك دلائل اليقين .

[١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمرهم عن وجوب اتباع الدلائل القاطعة وترك المشبهات الواهية ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أتاهم .

[١٢] ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ متى يدين الله العباد بأعمالهم .

[١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يُحرقون .

[١٤] ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ ذوقوا عذابكم الذي طلبتموه ﴿هذا الذي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ حصوله في الدنيا .

[١٥] ﴿إِنِ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا الله بطاعته واجتناب معاصيه في الدنيا ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يوم القيامة يتنعمون .

[١٦] ﴿أَخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قابلين ما أعطاهم من النعيم الأخروي راضين به ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الحياة الدُّنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ قد أحسنوا أعمالهم لغلبة محبة الله على قلوبهم .

[١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ لا ينامون من الليل إلا أقله . [١٨] ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ من ذنوبهم . [١٩] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الفقير المتعفف الذي يُظنُّ غنياً فيُحرم الصدقة . [٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ عبر وعظات لأهل اليقين .

[٢١] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أفلا تُبصرون ؟ [٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني بالسما : المزن ، وبالرزق : المطر ، فإنه سبب الأقوات . والمراد بـ ﴿ما تُوعَدُونَ﴾ العذاب السساوي فهو يحل بهم من جهتها . والخطاب لأهل مكة . [٢٣] ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي الذي خلقها للاستدلال بها على حقيقة ما أخبر عنه ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ أي مثل نطقكم . والضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ عائد لما ذكر من أمر الآيات والرزق . [٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرَمِينَ﴾ يعني الملائكة الذين دخلوا عليه في صورة ضيوف من البشر . [٢٥] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ فقالوا سلاماً ، قال سلامٌ ﴿أي سلام عليكم﴾ قومٌ مُنْكَرُونَ ﴿أي لم يعرفهم إبراهيم عليه السلام﴾ . [٢٦] ﴿فَرَأَى إِلَى آهِلِهِ﴾ فذهب إليهم ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ قد أنضجه شيئاً . [٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ بأن وضعه بين أيديهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ منه . [٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي أضمهرها ، لظنه أنهم أرادوا به سوءاً ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ وأبلغوه أنهم رُسُلٌ من عند الله ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ يبلغ ويكمل علمه - وهو إسحاق عليه السلام - . [٢٩] ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ في صيحة ﴿فَصَكَّتْ﴾ فلطمت ﴿وَجْهَهَا﴾ تعجباً على عادة النساء في كل غريب عندهن ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي عاقر ليس لي ولد .

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ مثل الذي قلنا وأخبرنا به ، فإننا نخبرك عن الله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ فمع علمه بعقوبك سيهيك غلاماً .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٣٢) ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ (٣٣) ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٤) ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧) ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرًا أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٣٩) ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠) ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ﴾ (٤٢) ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ (٤٣) ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٤٤) ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ (٤٥) ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٤٦) ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهُ بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ (٤٨) ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥١)

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٣٢) ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ (٣٣) ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٤) ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧) ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرًا أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٣٩) ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠) ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ﴾ (٤٢) ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ (٤٣) ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٤٤) ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ (٤٥) ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٤٦) ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهُ بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ (٤٨) ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥١)



[٣١] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم : ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ما هو أمركم وشأنكم ؟

[٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ لمؤاخذتهم وهم قوم لوط .

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ رجماً لهم على فعلهم الفاحشة .

[٣٤] ﴿مُسَوَّمَةً﴾ مرسلّة أو معلّمة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المتعدّين حدود الله ، الكافرين به .

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ في تلك القرية ﴿من المؤمنين﴾ .

[٣٦] ﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني بيت لوط عليه السلام .

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ تركنا في القرية المذكورة علامة تدل على إهلاكهم الدنيوي ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ في الآخرة .

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَى﴾ أي وتركنا في قصة موسى عليه السلام وإهلاك عدوّه آية وُحْدَةٍ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ببرهان ظاهر .

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ فأعرض عن الإيوان . والركن : جانب الشيء ﴿وقال ساحرٌ أو مجنونٌ﴾

يرفض الإقرار بنبوته فيفتري الكذب على موسى .

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ﴾ فأغرقناه في البحر ﴿وهو مُلِيمٌ﴾ أت بما يلام عليه من الكفر والعناد .

[٤١] ﴿وَفِي عَادٍ﴾ وتركنا في عاد ، قوم هود عليه السلام آية كذلك ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ التي لا خير فيها من إنشاء المطر أو تلقيح الشجر ، وهي ريح الهلاك .

[٤٢] ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ﴾ وأصل الرميم : البالي المفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك .

[٤٣] ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ وتركنا في ثمود قوم صالح عليه السلام كذلك آية وحجة ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقرهم الناقة ﴿تَمَتَّعُوا﴾ في داركم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ ثلاثة أيام كما بيته الآية الأخرى ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ (٤٤) ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يعني العذاب الحال بهم ، المعهود ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليها ، فقد نزلت بهم نهراً .

[٤٤] ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فما استطاعوا من قيام ﴿من نهوض﴾ وما كانوا متصيرين ﴿ممتنعين من العذاب﴾ .

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي مخالفين أمر الله خارجين عن طاعته . [٤٦] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ وأهلكنا قوم نوح ﴿مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي مخالفين أمر الله خارجين عن طاعته . [٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ رفعناها بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون على الإيساع كما أوسعنا بناءها . [٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهادناها ليمتدوا بها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ لهم . [٤٩] ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي ذكرًا وأنثى ، أو نوعين متقابلين ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لتذكروا وتعتبروا فتعلموا أيها

المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه وابتداع زوجين من كل شيء .

[٥٠] ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ فروا من عقابه إلى رحمته ، بالإيمان به ، واتباع أمره ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أنذركم عقابه وأخوفكم عذابه .

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ، تأكيد لما قبله من الإنذار ، وإيجاب الفرار من عذابه وغضبه .

[٥٢] ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّونٌ﴾
وتسميتهم له : ساحراً أو مجنوناً ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّونٌ﴾ تقليداً لمن سبقهم واقتداء بهم .

[٥٣] ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ أوصى بهذا القول بعضهم بعضاً حتى اتفقوا عليه ؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَافُونَ﴾ فصدور هذه الكلمة الشيعة من كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك .

[٥٤] ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن مقابلتهم بالأشياء ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ في إغراضهم ، إذ لست عليهم بجبار ولا مُسيطر ، وما عليك من حسابهم من شيء .
[٥٥] ﴿وَذَكِّرْ لَهُمْ﴾ فإن الذكرى تنفع المؤمنين هم العابدون .

[٥٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وهي عبادته تعالى بما أمر على لسان رسوله ﷺ .
[٥٧] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ وما أريد أن يُطعموني وهو الغني عن العالمين سبحانه .
[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

[٥٩] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ يَتَعَرِّضُونَ﴾
للعذاب الخالد بتكذيب الرسول والإصرار على الشرك والبغي والفساد ﴿ذُنُوبًا﴾ نصيباً وافراً من العذاب ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ مثل نصيب نظرائهم من الأمم الكافرة السابقة المذكورة ﴿فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ لا يطلبوا أن أعجل به قبل أجله ، فإنه آتيهم في حينه ، والتأخير لحكمة قدرها الله .

[٦٠] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة .

[سورة الطور]

مكية . وعدد آياتها تسع وأربعون آية . سميت بالطور لأنه تضمن تعظيم مهبط الوحي ، والوحي أولى بالتعظيم .

[١] ﴿وَالطُّورُ﴾ هو طور سينين ، جبل بمدين ، سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ، واندك الجبل بنور تجليه تعالى . [٢] ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ مکتوب ، والمراد به القرآن الكريم . [٣] ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ الرق : الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه . [٤] ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ الذي يعمر بكثرة غاشيته ، وهو الكعبة المعمورة بالحجاج والعُمار والطائفين والكافرين والمجاورين . [٥] ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني السماء .

[٦] ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أي المملوء ، أو الذي يوقد فيصير ناراً . [٧] ﴿إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ على من أدبر وكفر .

[٨] ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ يدفعه عن المكذبين فينقذهم منه إذا وقع . [٩] ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أي تضطرب .

[١٠] ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ أي تسير عن وجه الأرض فتصير هباءً منثوراً . [١١] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالحق الجاحدين له .

[١٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ من الاعتساف والاستهزاء ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي بآيات الله ودلائله .

[١٣] ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ يُدْعَوْنَ إليها بعنف . [١٤] ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي يقال لهم ذلك .

سورة الطور

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّونٌ
[٥٢] أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَافُونَ [٥٣] فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ [٥٤] وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ [٥٥] وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا [٥٧] إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [٥٨] فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ [٥٩] فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ [٦٠]

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ [١] وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ [٢] فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ [٣] وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ [٤] وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ [٥] وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ [٦] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ [٧] مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ [٨] يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا [٩] وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا [١٠] فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ [١١] الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ [١٢] يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً [١٣] هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ [١٤]

سورة الطور

أَفْسَحِرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُرَ [١٥] أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا [١٦] أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [١٧] إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ [١٨] فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنْهَمَ رَبُّهُمْ وَوَقَدْهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ [١٩] كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [٢٠] مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُورٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ [٢١] وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ [٢٢] وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ [٢٣] يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ [٢٤] وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ [٢٥] وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ [٢٦] قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ [٢٧] فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السُّمُورِ [٢٨] إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ [٢٩] فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ [٣٠] أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ [٣١] قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ [٣٢]

واتبعهم ذريتهم بإيمان في الجنة ، بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان .

[٢٣] ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ يتعاطون فيها كأس الشراب ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث وبناطله ، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما كان في الدنيا .

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ أي مصون في كن ، فهو أنقى له وأصفى لبياضه .

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتجاذبون أطراف الحديث المفضية إلى شكر المنعم والتحدث بالنعمة ، وذلك في مساءلة بعضهم بعضاً عما مضى لهم في الدنيا . [٢٦] ﴿قَالُوا : إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله .

[٢٧] ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السُّمُورِ﴾ يعني عذاب النار .

[٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي نعبد مخلصين له الدين ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ المحسن لمن دعاه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن عبده وخافه بالهداية والتوفيق .

[٢٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ من أرسلت إليهم وعظهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾ تتكهن فيها تدعو إليه ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ له رأي من الجن يخبر عنه قومه ما أخبر عنه ، كما يعتقده العرب في بعضهم ، ولكنك رسول الله حقاً .

[٣٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ أي حوادث الدهر ، أو الموت .

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ﴾ حتى يأتي أمر الله فيكم ، والأمر للتهكم بهم والتهديد .

[١٥] ﴿أَفْسَحِرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُرَ﴾ كما كنتم تبصرون في الدنيا .

[١٦] ﴿أَصْلَوْهَا﴾ ذوقوا حرَّ هذه النار ﴿فاصبروا﴾ على ألها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصبر وعدمه ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لا تعاقبون إلا على معصيتكم في الدنيا لربكم وكفركم به .

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾

[١٨] ﴿فاكهين بما آتاهم ربهم﴾ متلذذين بما لديهم

من الفواكه الكثيرة ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾

[١٩] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا .

[٢٠] ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُورٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ وزوجناهم

بحُورٍ عِينٍ ﴿جمع عيناء وهي الواسعة العين﴾



[٢١] ﴿والذين آمنوا واتبعنهم ذريتهم

بإيمان﴾ اقتفت آثارهم في الإيمان والعمل الصالح

﴿الحقنا بهم ذريتهم﴾ في الجنات والنعيم [روى ابن

جرير عن ابن عباس في هذه الآية قال : إن الله تبارك

وتعالى يرفع للمؤمن ذريته ، وإن كانوا دونه في العمل

ليقر الله بهم عينه ﴿وما ألتناهم من عملهم من

شيء﴾ وما نقصناهم من ثواب عملهم شيئاً ﴿كل

امريء بما كسب رهين﴾ لا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره ،

وإنما يُعاقب بذنب نفسه .

[٢٢] ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ قال

ابن جرير : وأمددنا هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله ،

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ أي عقوبهم بهذا التناقض في القول ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُم قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحد في العناد .

[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي اختلق هذا القرآن من عند نفسه ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يريدون أن يؤمنوا حسداً وتقليداً .

[٣٤] ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ في الهداية بذلك الأسلوب الذي ملك ناصية الفصاحة والبلاغة ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في زعمهم ، فإنهم أهل لسان الرسول . [٣٥] ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أخلق هؤلاء المشركون من غير آباء وأمهات ، فهم كالجماد لا يعقلون ، ولا يفهمون لله حجة . وقد قيل : إن معنى ذلك : أَمْ خَلِقُوا لغير شيء ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم ، أو هذا الخلق .

[٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿بوعيد الله﴾ وما أعدّه لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة .

[٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ خزائن رزقه ، فهم لاستغنائهم مغرضون ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطِرُونَ﴾ أي الجبابرة .

[٣٨] ﴿أَمْ هُمْ سُلَّمٌ﴾ أي مرتقى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ الوحي ، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذي هم عليه حق ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي بحجة واضحة تصدق دعواه .

[٣٩] ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ حيث قالوا - لسفاهة رأيهم - إن الملائكة بناته تعالى .

[٤٠] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أجرة على إبلاغك إياهم رسالة الله تعالى ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾ من التزام غرامة ﴿مُثْقَلُونَ﴾ من أدائه حتى زهدهم ذلك في اتباعك . [٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ منه ما شاؤوا وينبئون الناس عنه بما أرادوا .

[٤٢] ﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بالرسول وما جاء به ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المكور بهم ، فثق بالله وامض لما أمرك به . [٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ له العبادة على جميع خلقه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزيهاً عن شركهم ، وعبادتهم معه غيره . [٤٤] ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ يقولوا سحابٌ مَرَكُومٌ ﴿هذا جواب لمشركي قريش الذين كانوا يستعجلون العذاب ويقترحون الآيات . [٤٥] ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ أي يموتون . [٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ لا يدفع عنهم مكربهم من عذاب الله شيئاً ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ .

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي دون عذاب يوم القيامة ، وهو إما عذاب القبر ، أو القحط ، أو النوازل التي تذهب بأموالهم وأنفسهم ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سنة الله في أمثالهم .

[٤٨] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الذي حكم به عليك ، وامض لأمره ونهيه ، وبلغ رسالاته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ نراك ونرى عملك ، ونحن نحوطك ونحفظك ، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك .

[٤٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة بالليل ﴿وَإِذَا بَرَأَ النَّجْمُ﴾ عنى بذلك إما فريضة الفجر أو نافلته ، أو ما يشملها .

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ مِثْلِهِ أَمْ هُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النُّجُومِ

٥٢٥

[سورة النجم]

مكية . وعدد آياتها اثنتان وستون آية . روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿والنجم﴾ .

[١] ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى﴾ انقض . [٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني محمداً ﷺ ، والخطاب لقريش ، أي ما حاد عن الحق ولا زال عنه ﴿وما غوى﴾ ما صار غوياً ، ولكنه على استقامة وسداد . [٣] ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ وما ينطق بهذا القرآن عن هواه ورأيه . [٤] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ إليه من الله . [٥] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ أي علم محمداً ﷺ ملكٌ شديدة قواه ، هو جبريل عليه السلام . [٦] ﴿ذُومِرَةً﴾ بكسر الميم ، أي متانة وإحكام في علمه ، لا يمكن تغييره ونسيانه ﴿فَاسْتَوَى﴾ فاستقام على صورة نفسه الحقيقية ، دون الصورة التي كان يتمثل بها ، كلما هبط بالوحي . [٧] ﴿وهو بالاتقي الأعلى﴾ المراد الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر . [٨] ﴿ثم دنا﴾ بعد استوائه ، اقترب جبريل من محمد ﷺ ﴿فَنَدَى﴾ إليه . [٩] ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي كان المسافة ما بينهما مقدار قوسين أو أقرب . [١٠] ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى الله إليه . [١١] ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴿ما﴾ كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه من الملك الذي جاءه بالوحي من ربه . [١٢] ﴿أَفَتُفَارِقُونَهُ﴾ على ما يرى ﴿أفتجادلونه على ما يراه معاينة من رؤية الملك المنزل عليه . [١٣] ﴿ولقد رآه نزلةً أخرى﴾ مرة أخرى من النزول . [١٤] ﴿عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ شجرة ينتهي إليها ما يعرج به أمر الله من الأرض فيقبض منها ، وما يهبط به من فوقها فيقبض فيها . [١٥] ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ التي يأوي إليها أرواح المقيمين . [١٦] ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ حيث كانت الأرواح والملائكة تغشاها وتهبط عليها ، وتحف من حولها . [١٧] ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه ﴿وما طغى﴾ ما تجاوز مرئيه المقصود له . [١٨] ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ يعني رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية . [١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ﴾ اللات : صخرة بيضاء منقوشة ، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ﴿والعزى﴾ شجرة عليها بناء وأستار بنخله ، وهي بين مكة والطائف . [٢٠] ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ وهي صخرة كانت بالمشلل عند قديد ، بين مكة والمدينة ، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ، ويهلون منها للحج إلى الكعبة . [٢١] ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ كانوا يقولون : إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله ، وكانوا يعبدونها ويزعمون أنها شفعاؤهم عند الله تعالى ، ومع ذلك كانوا يثدنون بناتهم ، فهم يرضون نسبة البنات إلى الله ويأبونها على أنفسهم . [٢٢] ﴿تِلْكَ الْقِسْمَةُ إِذَا قَسَمْتَ﴾ جائرة غير مستوية . [٢٣] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ هذه الأصنام التي يزعمون أنها آلهة ليست سوى أسماء لا حقيقة لها ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ بمقتضى أهوائكم ﴿ما أنزل الله بها من سلطانٍ﴾ أي برهان يتعلّق به ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ إلا توهم ما هم عليه حق ﴿وما تهوى الأنفسُ﴾ أي تشتهيه أنفسهم ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ الدليل الواضح والبيان بالوحي ، أن العبادة لا تجوز إلا لله . [٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أي : ليس له ما يشتهي من شفاعة الأنداد . [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ فمصير الأمر فيها له تعالى ، لا للإنسان . [٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ توبيخ من الله تعالى لعبدة الأوثان ، بإقناطهم عما علّقوا به أطعاهم من شفاعة أوثانهم ، بأن ملائكته الكرام لا يتفوهون بالشفاعة إلا من بعد إذنه ورضاه .



الجزء
٥٣

٥٢٦

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ كانوا يقولون : هن بنات الله .

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ لا يفيد فائدته ، ولا يقوم مقامه .

[٢٩] ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ المراد من الإعراض هجرهم هجرًا جميلًا وترك إيذائهم .

[٣٠] ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يعني أمر الدنيا منتهى علمهم ، لا علم لهم فوقه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ .

[٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ بالمثوبة الحسنی ، وهي الجنة .

[٣٢] ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ﴾ يعني ما كبر الوعيد عليه من النواهي ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ ما فحش منها ﴿إِلَّا اللَّئِمَّ﴾ الصغائر من الذنوب ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ الْمَغْفِرَةِ﴾ للممذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾

أحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ حيثما يصوركم في الأرحام ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فلا تشهدوا لها بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي ، والمراد به الثناء مدحاً أو رياء ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾ بمن اتقاه فعمل بطاعته واجتنب معاصيه وأصلح .

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عن الذكر بعد إذ جاءه . [٣٤] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ قطع العطاء بخلاً وشحاً .

[٣٥] ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ حتى يحكم على نفسه بالتزكية والنجاة والفوز ؟ .

[٣٦] ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ . [٣٧] ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه .

[٣٨] ﴿أَلَا نَزَرُ وَإِرْزَ وَرَزَّ أُخْرَى﴾ لا تؤاخذ نفس بذنوب غيرها ، بل كل نفس آثمة فإن إثمها عليها .

[٣٩] ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ليس له إلا سعيه وكسبه .

[٤٠] ﴿وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى﴾ سيراه ويُعرض عليه ويُكشَفُ له ، أو يرى للخلق وللملائكة . ففيه بشارة للمؤمن ، وإفراح له ، وإنذار للكافر وإرهاب له ، أو هو من رأى المجرد أي يراه .

[٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ يُجزى سعيه جزاء وافراً لا يبخس منه شيئاً .

[٤٢] ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ انتهاء الخلق ، ورجوعهم لمجازاتهم .

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي﴾ خلق قوتي الضحك والبكاء ، أو أضحك أهل الجنة في الجنة ، وأبكى أهل النار في النار ، أو من شاء من أهل الدنيا في الدنيا .

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ أمات من شاء من خلقه ، وأحى من شاء .

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّئِمَّ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرُ وَإِرْزَ وَرَزَّ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّهُ عَلِيهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ إِفْثَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤَنَفَكَةَ ﴿٥٣﴾ وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى ﴿٥٤﴾ فَغَشَّاهَا مَا عَشَى ﴿٥٥﴾ فَبَإِیءَ آءِ رَبِّكَ نَتَمَارَى ﴿٥٦﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴿٥٧﴾ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴿٥٨﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٩﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٦٠﴾ وَتَضْحَكُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٢﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦٣﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِیْغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ یَوْمَ یَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ابتدع إنشاءهما . [٤٦] ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ إذا تدفقت في الرحم . [٤٧] ﴿وَأَنَّهُ عَلِيهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَةُ﴾ إعادة الخلق بعد مماتهم في نشأة أخرى لا تعلم . [٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ أغنى من شاء بالمال ، و﴿أَقْنَى﴾ جعل له قنية ، وهو ما يدخره من أشرف أمواله . [٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى﴾ وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبد . [٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ يعني قوم هود عليه السلام . [٥١] ﴿وَأَنَّهُ غَشَّاهَا مَا عَشَى﴾ قوم صالح عليه السلام ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ . [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ﴾ كانوا هم أَظْلَمَ أَشَدَّ في كفرهم قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ أَشَدَّ طغياناً وعصياناً من ﴿وَأَطْغَى﴾ أشد طغياناً وعصياناً من الذين أهلكوا من بعدهم لتمردهم على الكفر . [٥٣] ﴿وَالْمُؤَنَفَكَةَ﴾ قرى قوم لوط عليه السلام التي ائتفتت بأهلها ، أي انقلبت ﴿أَهْوَى﴾ أهواها على أهلها ودمرها . [٥٤] ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَشَى﴾ من العذاب الساوي الذي صبَّ عليها . [٥٥] ﴿فَبَإِیءَ آءِ رَبِّكَ﴾ أي نعمائه ﴿نَتَمَارَى﴾ أي ترتاب وتشك . [٥٦] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي أنذر بها من قبلكم ، أو هذا الرسول نذير من جنس من تقدّمه ليس بدعاً من الرُّسل . [٥٧] ﴿أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ﴾ قُرْبَتْ الْقِيَامَةُ الموصوفة بالقرب . [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ليس لقيامها غير الله مبین لوقتها ، وقيل الكشف بمعنى الإزالة ، أي ليس لها نفس كاشفة إذا وقعت إلا هو تعالى .

[٥٩] ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ يعني القرآن الذي قص ما تقدم ، وأنذر بما أخبر . [٦٠] ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ تضحكون استهزاء ولا تبكون مما فيه من الوعيد للعصاة . [٦١] ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ لاهون عما فيه من العبر ، مغرضون عن آياته .

[٦٢] ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ وإعبدوه دون سواه من الأوثان ، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له ، لا تجعلوا له شريكاً في عبادته .

[سورة القمر]

مَكِّيَّة . وعدد آياتها خمس وخمسون آية . كان ﷺ يقرأ بها في الأضحى والفطر والمحافل الكبرى لاشتغالها على ذكر الوعد والوعيد ، وبدء الخلق وإعادته ، والتوحيد ، وإثبات النبوات ، وغير ذلك من المقاصد العظيمة . [١] ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ . [٢] ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ذلك أن كفار مكة سألوه آية ، فأراهم ﷺ انشقاق القمر حجة على صدق قوله ، وحقيقة نبوته ، فلما أراهم أعرضوا وكذبوا وقالوا : سحرنا محمد . [٣] ﴿وَكَذَّبُوا﴾ بآيات الله بعدما أتتهم حقيقتها ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ما زين لهم من دفع الحق مما وجدوا عليه آباءهم ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها . [٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ عن القرون الخالية ، والحقائق الكونية ، مما يستحيل أن يأتي به أمي غير ﷺ ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ مرتدع عما هم مقيمون عليه من التكذيب والغفلة واللهو . [٥] ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ بلغت غايتها من الإحكام والتنزه عن الخلل ، ومن الاشتغال على البراهين القاطعة والحجج الساطعة ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ جمع نذير . [٦] ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ یَوْمَ یَدْعُ الدَّاعِ﴾ داعي الله إلى موقف يوم القيامة ، وهو ملك كريم ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ فظيع تنكره النفوس ، وهو موقف الحساب والجزاء والبلاء .

[سورة القمر]

[سورة القمر]

[سورة القمر]

[سورة القمر]

[سورة القمر]

[سورة القمر]

[سورة القمر]

[سورة القمر]

[٧] ﴿خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ﴾ من الذل والصغار
﴿يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ من قبورهم
﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في الكثرة والتموج
والانتشار.

[٨] ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين ماديين أعناقهم
إليه ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ لشدة أهواله .
[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ فكذبوا عبدنا وقالوا :
مجنون وازدجر ﴿أَيُّ زَجْرٍ﴾ أي زجر عن الإنذار والتبليغ بشدة
وقسوة .

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ : أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ غلبي
قومي تمرداً وعُتُوّاً ، فانتقم منهم بعذاب ترسله عليهم .
[١١] ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ متدفق .

[١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلنا الأرض كلها
كانها عيون تنفجر ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾
التقى ماء السماء وماء الأرض على حال قدره الله تعالى
وقضاه ، وهو هلاك قوم نوح عليه السلام .

[١٣] ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ يعني السفينة ،
ودُسْر جمع دسار بكسر الدال ، أو دسر كسف
وسقف ، وهي أضلاعها أو حبالها التي تُشدُّ فيها ، أو
مساميرها .

[١٤] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ كناية عن حفظها بحفظ الله
تعالى وعنايته ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾ أي كفر به ، وهو
نوح كفر به قومه وأذوه .

[١٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ أي قصة نوح عليه السلام
﴿آيَةً﴾ جعلناها عبرة يُعْتَبَرُ بها ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ فهل
من معتبر ومتعظ .

خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ
كُفِرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ
﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَانَهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا
مِمَّنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَهْلَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ
مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ
الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فَنَنَّا لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَى فَقَعَرٌ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنُّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ
أَخَذَ عَزِيزٍ مُقَدِّرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ
فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ
وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرُ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ
﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ
عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

بصورة شباب مُرْدٍ حَسَانٍ ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فأعمى الله أبصارهم فلم يروهم ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ .
[٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ .

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ كرر عليهم آيات التذكير والإنذار لتمكين ذلك في نفوسهم .

[٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ﴾ يعني موسى وأخوه هارون عليهما السلام . [٤٢] ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ الأدلة والمعجزات والحجج التي
أتتهم ناطقة بوحدانية الله تعالى ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ﴾ عاقبناهم عقوبة شديدة لا يُعَالَب ﴿مُقَدَّرٌ﴾ عظيم القدرة لا يعجزه شيء .

[٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَم﴾ الكفار المذكورين الذين حلت عليهم النعمة فتأمنوا جانبها ؟ ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾
أي براءة من عقابه تعالى وأمان منه مع أنكم على شاكلة من مضى نبؤهم من المشركين والمعاندين ؟ .

[٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ ينصر بعضنا بعضاً . [٤٥] ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ﴾ يعني جمع كفار مكة ﴿وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرُ﴾ يولون أديبارهم عند
انهزامهم . وقد وقع ذلك يوم بدر ، وهو من دلائل النبوة لأن الآية مكية ففيها إخبار عن الغيب . [٤٦] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ للبعث والعقاب
﴿وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ أعظم داهية ، وهي الأمر المنكر الذي لا يهتدي لدوائه . [٤٧] ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾

وفي نيران في الآخرة . [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ يُجْرُونَ عليها ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ حرها وألمها ، وسقر : من أساء جهنم .
[٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بمقدار استوفي فيه مقتضى الحكمة وترتب الأسباب على مسبباتها .

[٢٨] ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ﴾ الذي يردونه لشرب
مواشيهم ﴿قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ مقسوم بينهم ، للناقة شرب
يوم ، ولهم شرب يوم آخر ﴿كُلُّ شَرْبٍ مُخْضَرٌ﴾
يخضره صاحبه في نوبته . والشرب : النصيب من الماء .
[٢٩] ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى﴾ فتناول الناقة بيده
﴿فَقَعَرٌ﴾ فقتلها .

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ .

[٣١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ
الْمُخْتَطِرِ﴾ كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذ من
يعمل الحظيرة . أو كالخشيش اليابس الذي يجمعه
صاحب الحظيرة لما شيته في الشتاء .

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ .

[٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ﴾ .

[٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي ملكاً يرميهم
بالحصباء والحجارة ، أو ريحاً ترميهم بها ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾
نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى لُوطٍ أَن﴾
يخرج ومن آمن من قومه ، فخرجوا من آخر الليل ،
فنجوا مما أصاب قومهم .

[٣٥] ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا﴾ إنعاماً منا ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي
مَنْ شَكَرَ﴾ فطاع ربه ، وانتهى إلى أمره ونهيه .

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ لوط عليه السلام
﴿بَطْشَتَنَا﴾ بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ﴾ بإنذاراته ،
تكذيباً له .

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ طالبوه بإتيان
الفاحشة معهم ، وهم الملائكة الذين وردوا عليه

[٥٠] ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً﴾ الذي به الإيجاد ﴿إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً﴾ بالبصر أي كلمة واحدة يكون بها كل شيء ، كلمح بالبصر في السرعة .

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم السالفة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ من متعظ بذلك ينزجر به .

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ الكتب التي أحصتها الحفظة عليهم .

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ مسطور لا يمحى ولا ينسى .

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا عقاب الله ﴿فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ أي أنهار .

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ بمعنى ملك ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ يقدر على تصريف جميع ما في ملكه على حكم مشيئته وتسخيره على مقتضى إرادته .

[سورة الرحمن]

مكية . وعدد آياتها ثمان وسبعون آية .

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ . [٢] ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ بصر به ما فيه رضاه وما فيه سخطه . [٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ .

[٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أي التعبير عما في الضمير وإفهام غيره ما يريد . وفيه إشارة إلى تكريم بني آدم بتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع عنه .

[٥] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب معلوم مقدّر في بروجهما ومنازلهما ، به تختلف الفصول والأوقات ، ويعلم السنون والحساب .

[٦] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ أي النبات الذي ينجم ، أي يطلع من الأرض ولا ساق له ﴿وَالشَّجَرُ﴾ الذي له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ يتقادان لله فيما يريد بهما انقياد الساجد من المكلّفين . [٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أي العدل بين خلقه في الأرض .

[٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ بالإفراط عن حدّ الفضيلة والاعتدال . [٩] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالاستقامة في الطريقة ، ونقطة الاعتدال في جميع الأمور ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ بالتفريط عن حدّ الفضيلة . [١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ مهّدها للخلق .

[١١] ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾ صنوف مما يتفكّه به ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أي الذي يطلع فيه العنقود ثم ينشق عنه فيكون بُسراً ثم ربواً ، ثم ينضج .

[١٢] ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ هو حبّ البرّ والشعير ونحوهما ، وذو العصف أي الورق اليابس كالتبن ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الورق الأخضر .

[١٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطاب للثقلين ، الإنس والجن ، مدلول عليهما بقوله تعالى ﴿لِلْأَنَامِ﴾ .

[١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ والصلصال : الطين اليابس الذي له صلصلة . والفخار : الخزف . وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ، ثم حمأ مسنوناً ، ثم صلصالاً .

[١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ خلق الجن أو أباهم من لهب صاف .

[١٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما أفاض عليكم في تضاعيف خلقكما من سوايغ النعم ، وما أظهره لكم بالقرآن .

وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ۝

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ۝ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ كُلٌّ مِنْ عِنْدِهَا فَنِ ۝ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝

[١٧] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما ، أو مشرقى الشمس والقمر ومغربيهما .

[١٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما فيها من النعم والفوائد التي لا تحصى .

[١٩] ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أرسل البحرين : البحر المالح والبحر العذب ، يتجاوران .

[٢٠] ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى وبديع صنعه ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ لا يبغي أحدهما على الآخر بالمجازة وإبطال الخاصية .

[٢١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما في البحرين وخلقهما من الفوائد .

[٢٢] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ﴾ .

[٢٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

[٢٤] ﴿لَهُ الْجَوَارِ﴾ يعني السفن ، جمع جارية ﴿الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ مرفوعات القلاع الثلاثي تقبل بهن وتُدبر ، والأعلام : جمع علم ، وهو الجبل الطويل .

[٢٥] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فبأي نعمه التي أنعم بها في هذه الجوارى تكذبان ؟

[٢٦] ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَنِ﴾ كلٌّ من على ظهر الأرض هالك .

[٢٧] ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي ذاته الكريمة ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ صاحب العظمة والعلو والكبرياء ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ والتفضل العام .

[٢٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ . [٢٩] ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدعونه ويرغبون إليه ، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ كل وقت يحدث أموراً ويحدث أحوالاً . [٣٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما يسعف به سؤالكما ، ويخرج لكما من خبا قدره وخلقته أنا فأنأ .

[٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ والله تعالى ليس له شغل يفرغ منه ، وإنما المعنى : سنقصد لمجازاتكم أو محاسبتكم ، فهو وعيد لهم وتهديد . [٣٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي من ثوابه أهل طاعته ، وعقابه أهل معصيته .

[٣٣] ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بخروجكم عن قهره ومحل سلطانه ومملكته حتى لا يقدر عليكم ﴿فَانْفُذُوا﴾ فجاوزوا واخرجوا ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ إلا بقوة وقهر وغلبة ، وأنى لكم ذلك ؟

[٣٤] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من التسوية بين جميعكم ، بأن جميعكم لا يقدر على خلاف أمر إرادته الله بكم .

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ صُفر مذاب يصبُّ على رؤوسكم ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ فلا تمتنعان وتنقذان منه .

[٣٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال القاضي : فإن التهديد لطف ، والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار ، من عداد الآلاء .

[٣٧] ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفطرت فاختل نظامها العلوي ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ كلون الورد الأحمر ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كالدهن الذي هو الزيت .

[٣٨] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما يحله بكم بعيد ذلك . [٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ لا يفتح لهم باب المعذرة .

[٤٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي من عدله فيكم أنه لم يعاقب منكم إلا مجزماً .

سُورَةُ الْحَجَرِ

يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
 آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذَبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ
 ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
 تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ
 زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى فُرُشٍ
 بَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا
 تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
 وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٦١﴾ وَمَنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
 عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٧﴾

[٤١] يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسْمِهِمْ ﴿٤١﴾ بما يعلوهم من الكآبة والحزن والذلَّة [وعن الحسن قال: يعرفون بأسوداد الوجوه وزرقة العيون - ابن جرير] ﴿٤٢﴾ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٣﴾ فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم وتقذفهم فيها. والناصية مقدم الرأس. ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٥﴾ أي من تعريفه ملائكته، أهل الإجماع من أهل الطاعة منكم حتى خصُّوا بالإذلال والإهانة المجرمين دون غيرهم. ﴿٤٦﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذَبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ﴿٤٩﴾ ماء حار ﴿٥٠﴾ أَنِ ﴿٥١﴾ انتهى حرُّه واشتد غليانه. ﴿٥٢﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٥٣﴾ أنواع من الأشجار والثمار. جمع فن بمعنى النوع، أو أغصان لينة جمع فنن. ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾

[٥٠] ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾

[٥٠] ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾

[٥٨] ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾

[٦٠] ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾

[٦٤] ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾

[٦٥] ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾

[٦٧] ﴿٦٨﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٩﴾
 فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنٌ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ حُورٌ
 مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾
 لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٢٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حَسَنٌ ﴿٢٦﴾ فَبِأَيِّ
 آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢٧﴾ نَبْرُكُ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٨﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾
 إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ
 هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ
 الْمِمْنَةِ مَأْصَحِبُ الْمِمْنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَأْصَحِبُ
 الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
 ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا ثَمَرَاتٍ مُتَقِيلِينَ ﴿١٦﴾

[٦٨] ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

[٦٩] ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

[٧٠] ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

[٧١] ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

[٧٢] ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

[٧٣] ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

[٧٤] ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

[٧٥] ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

[٧٦] ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾

[٧٧] ﴿٧٨﴾

[٧٨] ﴿٧٩﴾

[٧٩] ﴿٨٠﴾

[٨٠] ﴿٨١﴾

[٨١] ﴿٨٢﴾

[٨٢] ﴿٨٣﴾

[٨٣] ﴿٨٤﴾

[٨٤] ﴿٨٥﴾

[٨٥] ﴿٨٦﴾

[٨٦] ﴿٨٧﴾

[٨٧] ﴿٨٨﴾

[٨٨] ﴿٨٩﴾

[٨٩] ﴿٩٠﴾

[سورة الواقعة]

[٩٠] ﴿٩١﴾

[٩١] ﴿٩٢﴾

[٩٢] ﴿٩٣﴾

[٩٣] ﴿٩٤﴾

[٩٤] ﴿٩٥﴾

[٩٥] ﴿٩٦﴾

[٩٦] ﴿٩٧﴾

[٩٧] ﴿٩٨﴾

[٩٨] ﴿٩٩﴾

[٩٩] ﴿١٠٠﴾

[١٠٠] ﴿١٠١﴾

[١٠١] ﴿١٠٢﴾

[١٠٢] ﴿١٠٣﴾

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ﴾ [١٧] ﴿بَاكِوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾
 [١٨] ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ [١٨] ﴿وَفَكَهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾
 [١٩] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [٢٠] ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ [٢١] ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [٢٢] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢٣] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [٢٤] ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [٢٥] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [٢٦] ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ [٢٧] ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ [٢٨] ﴿وِظَلِّ مُمْدُودٍ﴾ [٢٩] ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ [٣٠] ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ [٣١] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [٣٢] ﴿وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [٣٣] ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ [٣٤] ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَجْأَرًا﴾ [٣٥] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [٣٦] ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [٣٧] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ﴾ [٣٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٣٩] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ﴾ [٤٠] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٤١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٤٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٤٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٤٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٤٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٤٦] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٤٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٤٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٤٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ [٥٠] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ بَاكِوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٍ عِينٍ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَِظَلِّ مُمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَجْأَرًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٤٠﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٤٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٤٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٤٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا ﴿٥٠﴾

منبسطة لا يتقلص . [٣١] ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ مصبوب دائم الجريان . [٣٢] ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ . [٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ لا تنقطع عنهم متى أرادوها . [٣٤] ﴿وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ مرتفعة في منازلها ، أو على الأرائك . وقد يكنى عن الحور بالفرش . ويكون المقصود بالفرش : النساء . [٣٥] ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ بديعاً فائق الوصف . [٣٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَجْأَرًا﴾ لم يطمئن . [٣٧] ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب ، وهي المتحبة إلى زوجها ، المحبوبة لتبعلها . [٣٨] ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ . [٣٩] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ جماعة وأمة من المتقدمين في الإيمان . [٤٠] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٤١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٤٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٤٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٤٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٤٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٤٦] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٤٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٤٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٤٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾ . [٥٠] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَابًا﴾

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كَلِمَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالْثَّوْنِ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شَرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ لَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحَرِّمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

الإعادة . [٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ما تحرثون الأرض لأجله ، وهو الحب . [٦٤] ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ أي تبتونه . [٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أي أيسناه قبل استوائه واستحصاده . [٦٦] ﴿إِنَّا لَمُعْرِضُونَ﴾ ملزمون غرامة ما أنفقنا ، أو مهلكون لهلاك رزقنا . [٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مُحَرِّمُونَ﴾ أي حرمانا رزقنا . [٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ يعني العذب الصالح للشرب . [٦٩] ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ من السحاب . [٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا﴾ أي ملحاً لا يصلح لشرب ولا زرع . [٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي تقدحون فيها تستخرجونها من الزند وهو العود الذي تقدح منه . [٧٢] ﴿نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ وللعرب شجرتان : إحداها المرخ ، والأخرى العفار ، إذا أخذ منها غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر خرج من بينهما شر النار . [٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي جعلنا نار الزناد تبصرة في أمر البعث ، لأن من أخرج النار من الشجر الأخضر المضاد لها ، قادر على إعادة ما تفرقت موادها . [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ وهي القفر . [٧٥] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ أي شكرياً لله على النعم التي عداها وبنته عليها . [٧٦] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لما في القسم من الدلالة على عظيم قدرة الله وكمال حكمته .

[٧٧] ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ له كرم وشرف وقدر رفيع ، لا اشتباهه على أمهات الحكم والأحكام . [٧٨] ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ محفوظ مصون ، لا يتغير ولا يتبدل . [٧٩] ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ الطاهر يطلق بالاشتراك على المؤمن ، والطاهر من الحدث الأكبر والأصغر ، ومن ليس على بدنه نجاسة ، وقد تعني أنه لا يجد حلاله وطعمه إلا من آمن به . وهو ما ارتأه البخاري . [٨٠] ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . [٨١] ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن الذي قص عليكم عظمة مقداره ﴿ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ تلينون القول للمكذبن بملاة لهم على التكذيب والكفر به . [٨٢] ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ تجعلون شكر الله على رزقه إياكم ، التكذيب . [٨٣] ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُدْهِنُونَ ﴾ لدلالة الكلام عليها ﴿ الْحَلْقُومَ ﴾ . [٨٤] ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ حالة نزعه ، والخطاب لمن حول المحتضر . [٨٥] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ قال جمهور السلف : يعني ملك الموت أدنى إليه من أهله ، ولكن لا تبصرون الملائكة . [٨٦] ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ غير مجزيين يوم القيامة ، أو مملوكين مقهورين ، من دانه أذله واستعبده . [٨٧] ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ تردون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في أنكم غير مربوبين مقهورين . [٨٨] ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ إن كان الميت من السابقين من الأصناف الثلاثة المذكورة في أول السورة . [٨٩] ﴿ فَرَوْحٌ ﴾

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحَلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْحَٰدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

راحة ﴿ وَرَيْحَانٌ ﴾ رزق طيب ، أو شجر ناضر يتفياً ظلاله ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ يتنعم فيها مما تشتهي النفس . [٩٠] ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [٩١] ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ تبشرهم الملائكة بذلك . تقول لأحدهم : سلام لك . [٩٢] ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ بآيات الله ﴿ الضَّالِّينَ ﴾ الجائرين عن سبيله . [٩٣] ﴿ فَنَزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ماء انتهى حره ، فهو شرابه . [٩٤] ﴿ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴾ أي إحراق بالنار . [٩٥] ﴿ إِنْ هَذَا ﴾ المذكور من أحوال الفرق الثلاثة وعواقبهم ﴿ هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أي حقيقة الأمر ، وجلية الحال ، لا لبس فيه ولا ارتياب . [٩٦] ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أي نزهه عما يصفونه به من الأباطيل ، وما يتفوهون به من الأضاليل ، قولاً وعملاً .

[سورة الحديد]

مدنية وعدد آياتها تسع وعشرون آية . سُميت بالحديد لأنه ناصر لله ورسوله في الجهاد ، فنزل منزلة الآيات الناصرة لله ولرسوله ، على أنه سبب لإقامة العدل ، كالقرآن . وجامع للمنافع فأشبهه أيضاً . [١] ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . [٢] ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي سلطانها ونفوذ الأمر فيها ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي تام القدرة فلا يتعذر عليه شيء من إحياء أو إماتة وغيرهما . [٣] ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ ﴾ السابق على كل موجود من حيث أنه موجد ومحدثه ﴿ وَالْآخِرُ ﴾ الباقي بعد فناء كل شيء ﴿ وَالظَّاهِرُ ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿ وَالْبَاطِنُ ﴾ باحتجابه بذاته وماهيته ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ تام العلم فلا يخفى عليه شيء .

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

طريق النظر والتفكر إلى الإيمان بالذي رباكم بنعمه فوجب عليكم شكره ﴿ وقد أخذ ميثاقكم ﴾ بالإيمان إذ ركب فيكم العقول ونصب الأدلة ومكنكم من النظر ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إن بقي نور الفطرة والإيمان الأزلي فيكم . [٩] ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ أي حجج واضحة وبراهين قاطعات ﴿ لِيُخْرِجَكُمْ ﴾ أي الله ، أو الرسول بآياته ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ من ظلمات الجهل والكفر والأهواء المتضادة إلى نور الهدى واليقين الذي تشعر به النفوس وتطمئن به القلوب ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ في إنزاله الكتب وإرساله الرسل هدايتكم . [١٠] ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يرث كل شيء فيها ، فما أجدر أن ينفق المرء في حياته ، ويتخذ ذخراً يجده بعد مماته ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ ﴾ أي من قبل فتح مكة ، أو صلح الحديبية - سبأه فتحاً باعتبار نتائجه - وقَاتِلَ لتعلو كلمة الحق ، لا يستوي هذا ومن أنفق من بعد وقَاتِلَ في حال قوة الإسلام وعزة أهله ﴿ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ حيث كانت الحاجة إلى النصرة والمعاونة أشد ، بخلاف ما بعد الفتح ، فإن الإسلام صار في ذلك الوقت قوياً والكفر ضعيفاً ﴿ وَكُلًّا ﴾ وكل واحد من الفريقين ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى ﴾ المثوبة الحسنى وهي الجنة ، لا الأولين فقط ، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ من النفقة في سبيله وجهاد أعدائه وغير ذلك فيجازيكم على جميع ذلك .

[١١] ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله رجاء أن يعوضه فإنه كمن يقرضه ، وكل من أنفق في سبيله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ﴿ فَيُضَاعِفُهُ لَهُ ﴾ يعطيه ثوابه أضعافاً مضاعفة ﴿ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ جزاء شريف جميل .

[٤] ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قال القاشاني : أي من الأيام الإلهية ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ارتفع عليه وعلا ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ﴾ من خلقه كالأموات والبذور والحيوانات ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ كالزروع ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والأقذار والأحكام ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ من الملائكة والأعمال وغيرهما ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبك ومشاوكم ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم عليه . [٥] ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ أي : أمور جميع خلقه ، فيقضي بينهم بحكمه .

[٦] ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ يدخل ما نقص من ساعات أحدهما فيجعله زيادة في الآخر بحكمته وتقديره ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي : بضائر صدور عباده ، وما عزمت عليه نفوسهم من خير أو شر .

[٧] ﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ أي : آمنوا بالإيمان اليقيني ليظهر أثره عليكم ، فيسهل عليكم الإنفاق من مال الله الذي موّلكم إياه ، وجعلكم مستخلفين فيه ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ .

[٨] ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ وما يصدكم عن الإيمان وقد ظهرت دواعيه واتضحت سبله لذويه ؟ ﴿ وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴾ يدعوكم من نور الهدى الذي تشعر به النفوس وتطمئن به القلوب ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ في إنزاله الكتب وإرساله الرسل هدايتكم .

[١٢] ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ لكـونهم على الصراط المستقيم متوجهين إليه تعالى ﴿بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة : بشراكم دخول جَنَّات ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم .

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ أي : نصيب منه واقتبس : أخذ شعلة . و ﴿انظرونا﴾ بمعنى : انظروا إلينا . ﴿قِيلَ﴾ قالت الملائكة أو المؤمنون ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ أي : ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا إيماناً وعملاً طيباً يهديكم إلى النجاة ، كما أن النور يهدي في الظلمات ، على طريق الاستعارة . والأمر للتخسير والتنديم ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ يَسُورَ﴾ بين المؤمنين

والمنافقين حائط متين يحجزهم عن أنوار المؤمنين لتتم ظلمتهم ﴿لَهُ﴾ أي : لذلك السور ﴿بَابٌ﴾ لأهل الجنة يدخلون منه ، ويرى المنافقون المؤمنين ليكملوهم ﴿بِاطْنِهِ﴾ وهو الجانب الذي يلي المؤمنين ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ يعني : الجنة وما فيها من رضوان الله والنعيم المقيم ﴿وظاهره﴾ وهو الذي يلي المنافقين ﴿من قبليه العذاب﴾ من جهته الظلمة والنار . [١٤] ﴿يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ يريدون ما أظهروه من موافقتهم نفاقاً ﴿قالوا بلى ، ولكنكم فتننهم أنفسكم﴾ أي محتتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وتربصنهم﴾ بالمؤمنين الدوائر ليظهر

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ يَسُورَ لَهُ بَابٌ بِاطْنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ فَنَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالُوا لَوْ لَا أَخَذَ مِنْكُمْ فَدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَاتَّخَذُ الْتَارِهُمُ مَوْلَاكُمْ وَبَشَّ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

الكفر فظهروا ما في أنفسهم ﴿وارتبتم﴾ في توحيد الله ونسوة نبيه ﷺ ، أو في البعث بعد الموت ﴿وغرَّتكم الأمانى﴾ طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار ﴿حتى جاء أمر الله﴾ يعني الموت ، أو نصره ، أو عذاب النار ﴿وغرَّكم بالله الغرور﴾ الشيطان ، فأطمعكم بالنجاة والفوز والغلبة .

[١٥] ﴿قَالُوا لَوْ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ هذا من تنمة قول المؤمنين للمنافقين ﴿ولا من الذين كفروا﴾ وهم المجاهرين بالكفر ﴿ماؤاكم النار هي مولاكم﴾ هي أولى بكم ﴿وبشَّ المصير﴾ أي النار .

[١٦] ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ ألم يحن ﴿للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ فتلين وترق وتحلص لذكر اسمه الكريم ، أو لذكر وعده ووعدته ؟ ﴿وما نزل من الحق﴾ يعني القرآن الذي لو أنزل على جبل لخشع ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد﴾ أي : الأجل والإمهال والاستدراج ﴿فقسَّت قلوبهم﴾ لزوال الخشية والروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين ﴿وكثيرٌ منهم فاسقون﴾ خارجون عن دينهم نابذون لما في كتابهم .

[١٧] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فهو حييكم بعد مماتكم ومحاسبكم فاحذروا مغبة قسوة القلب والفسوق ﴿قد بيَّنا لكم الآيات﴾ الحجج وضروب الأمثال ﴿لعلكم تعقلون﴾ لتثوبوا إلى عقولكم .

[١٨] ﴿إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ﴾ أي : المتصدقين والمتصدقات في سبيل الله ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ يعني بالنفقة في سبيله ، وفيما أمر بالنفقة فيه ، أو فيما ندب إليه ﴿يضاعف لهم ولهم أجرٌ كريمٌ﴾ فيوفيه ثوابها يوم القيامة مضاعفاً ، ولهم ثواب كريم ، وذلك الجنة .

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْدُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ تَذَكَّرْكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ لتصديقهم بجميع أخبار الله وأحكامه وشهادتهم بحقيقة جميع ذلك ﴿والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ، أو هلكوا في سبيله ، عند ربهم لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم﴾ ابن جرير - قال رسول الله ﷺ : (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق إلى المغرب لتفاضل ما بينهم) قال أبو سعيد الخدري : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : (بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) أخرجه الشيخان ومالك - ابن كثير [

﴿٢٠﴾ ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ تفريح نفس ﴿ولَهُمْ﴾ باطل ﴿وزينته﴾ منظر حسن ﴿وتفاخر﴾ بينكم ﴿في الحسب والنسب﴾ وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث ﴿أي : مطر﴾ أعجب الكفار ﴿أي : الزراع﴾ نباته ، ثم يهيج ﴿يجف بعد خضرته ونضرت﴾ فتراهم مصفرة ﴿من اليبس﴾ ثم يكون حطاماً ﴿هشياً متكسراً ، وكذلك الدنيا لا تبقى كما لا يبقى النبات﴾ وفي الآخرة عذاب شديد ﴿لمن ترك طاعة الله ومغفرة من الله ورضوان﴾ لمن أطاع الله وأدى حقه من ماله ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ يأخذ صاحبها ملاعبها بدل ملاعب الحور العين ، وهوها

بملاذ الآخرة وزينتها بزينة الجنة . [روى ابن جرير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها)] .

[٢١] ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالتوبة من ذنوبكم إلى نيل مغفرته وتجاوزه عن ذنوبكم ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الإيذان باليقيني ﴿ذلك﴾ أي : المغفرة والجنة ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ من كان أهلاً له ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ بما بسط خلقه من الرزق في الدنيا ، وهوب لهم من النعم ، وعرفهم موضع الشكر ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ، ما وصف أنه أعدّه لهم .

[٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ من قحط وجذب ووباء وغلاء ﴿ولا في أنفسكم﴾ من خوف ومرض وموت وأهل وولد وذهاب مال ﴿إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ إلا في علم أزلي من قبل خلق المصيبة أو الأنفس ﴿إن ذلك﴾ التقدير ﴿على الله يسير﴾ لسعة علمه وإحاطته سبحانه وتعالى .

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ لكيلا تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ من عافية ورزق ونحوهما ﴿ولا تفرحوا﴾ لا تبطروا ﴿بما آتاكم﴾ من نعم الدنيا ، وكل ذلك مقدور [روى ابن جرير عن ابن عباس قال : ليس أحد إلا يحزن ويفرح ، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبراً ، ومن أصابه خير فجعله شكراً] ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ متبختر من شدة الفرح بما آتاه على الناس .

[٢٤] ﴿الذين يبخلون﴾ بالإنفاق في سبيل الله لشدة محبة المال ﴿ويأمرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ لاستيلاء الرذيلة عليهم ﴿ومن يتولَّ﴾ من يعرض عن ذكر الله وما أمر به ﴿فإن الله هو الغني﴾ عنه لاستغنائه بذاته سبحانه ﴿الحميد﴾ لاستقلاله بكماله .

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج والبراهين القاطعة ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ التام في الحكم والأحكام ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: العدل. وقيل: الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ بالحق والعدل باتباع المرسلين ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: القتال به، فإن آلات الحرب متخذة منه ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعاشهم ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ باستعمال الحديد في مجاهدة أعدائه ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَلَى إِهْلَاكِ مَنْ أَرَادَ إِهْلَاكَهُ﴾ عزيزٌ غالب قاهر لمن يشاء [عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رحمي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم). أخرجه أحمد وأبو داود - ابن كثير].

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ فمنهم ﴿أَي: من الذرية مهتد، وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن طاعة الله بترك نصوص كتبه وتحريفها واتباع الأبحار والرهبان بغير حق.

[٢٧] ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾ أتبنا ﴿عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا﴾ وقَفَّيْنَا بعيسى ابن مريم وآتيناهُ الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴿أَي: حناناً ورقةً ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ ما

فرضناها عليهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ ابتدعوها طلباً لمرضاة الله عنهم ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ما قاموا بها التزامه منها حق القيام من التزهد والتخلي للعبادة وعلم الكتاب، بل اتبعوا أهواءهم ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يعني الذين آمنوا بالإيمان الخالص عن شوائب الشرك والابتداع وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن مواجب الإيمان ومقاصده.

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حمل ابن عباس هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب، [الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ثم آمنوا بمحمد ﷺ] أنهم يؤتون أجراً مرتين. والكفل: الحظ. والنور: هو ما يبصر من عمى الجهالة والضلالة ويكشف الحق لقاصده. [روى ابن جرير عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة يؤتون أجراً مرتين: رجل آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ورجل كانت له أمة فأدبها وأحسن تأديبها، ثم اعتقها فتزوجها، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده). وروى أيضاً عن أبي أمامة الباهلي أنه قال: شهدت خطبة رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع فقال قولاً كثيراً حسناً جميلاً، وكان فيها (من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله مثل الذي لنا، وعليه مثل الذي علينا، ومن أسلم من المشركين فله أجره، وله مثل الذي لنا وعليه مثل الذي علينا)]. [٢٩] ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَأَنْ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ المراد بالفضل ما آتاه الله المسلمين وخصهم به، وكان أهل الكتاب يرون أن الله فضلهم على جميع الخلق فأعلمهم جل وعلا أنه قد آتَى أمة محمد ﷺ من الفضل والكرامة ما لم يؤتهم.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ لَكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنْ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الْحَدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ كُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَوَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

النكاح. وقال الزهري رحمه الله: ليس له أن يقبلها ولا يمسه حتى يكفر. وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر. فقال: (ما حملك على ذلك يرحمك الله؟) قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال ﷺ: (فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل) - ابن كثير.

[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ لا يملك رقبة لتحريرها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ لا يقطع الصوم فيهما [إلا من عذر، فإنه إذا كان الإفطار لعذر فزال العذر بنى على ما مضى من الصوم، ويستقبل المفطر بغير عذر - ابن جرير] ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ أجاز بعضهم إطعام مسكين واحد ستين يوماً، وفي ذلك خلاف الآية ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ذلك البيان أو التعليم للأحكام لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه والانتهاه عن زور الجاهلية ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ وللکافرين عذاب أليم ﴿المراد بالكافرين هنا العصاة الجاحدين للحدود الشرعية، واستعمل عنوان الكفر تغليظاً لجرهم﴾.

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في مخالفة الحدود والفرائض الشرعية. والمحاداة: المعادة ﴿كُنُوا﴾ أخزوا ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الأمم السابقة ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِ بَيِّنَاتٍ﴾ دلالات مفصلة وعلامات محكمة تدل على حقائق حدود الله ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يعني بالكافرين: منكري تلك الآيات وجاحديها.

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أحاط به علماً ﴿وَنَسُوهُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ رقيب عالم بكل شيء.

[سورة المجادلة]

مدنية، وعدد آياتها اثنتان وعشرون آية.

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن المجادلة هي خولة بنت ثعلبة، قدمت إلى رسول الله ﷺ تشتكي زوجها تقول له: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك.

[٢] ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ وهو قول الرجل لامراته إذا غضب عليها: أنت علي كظهر أمي، يعني في حرمة مقاربتها ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ما هن بالتحريم كأمهاتهم ﴿إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ فلا يشبههن في الحرمة على الأزواج ﴿وَأِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾ قولاً تنكره العقلاء وتتجافاه الكرماء ﴿وَزُورًا﴾ باطلاً لا حقيقة له ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده إذا تابوا وأنبأوا.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي: والذين يرجعون إلى لفظ الظهار ثانية، أو يعزمون على وطء نسايتهم رغبة في تحليلهن بعد تحريمهن ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ كُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ﴾ فعليهم عتق رقبة، قبل المراجعة. وهذه الكفارة تُزجرون بها للظهار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ والمس



[٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ النجوى : التحدث سرا ﴿ ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ﴾ كالإثنين ﴿ ولا أكثر ﴾ كالسبعة وما فوقها ﴿ إلا هو معهم أين ما كانوا ﴾ يعلم ما يكون بينهم في أي مكان حلوا ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

[٨] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ﴾ قال مجاهد : هم اليهود ﴿ ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ بما هو إثم وتعد على المؤمنين وتواص بمخالفة النبي ﷺ [كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة ، وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم ، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن ، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم . فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم يتنهدوا وعادوا إلى النجوى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ ﴾ - ابن كثير ﴿ وإذا جاؤوك حيَّوكم بما يُحْيِيكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ من قولهم : السام عليك ، أو مما نسخه الإسلام من ألفاظ الجاهلية في التحية . [روى ابن جرير عن عائشة قالت : جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقلت : السام عليكم وفعل الله بكم وفعل ، فقال النبي ﷺ : (يا عائشة إن الله لا يحب الفحش) فقلت : يا رسول الله أأست ترى ما يقولون ؟ فقال : (أأست ترىني أرد عليهم ما يقولون ؟ أقول : عليكم) وهذه الآية في ذلك نزلت ﴿ ويقولون في أنفسهم ﴾ استهزاء ﴿ : لولا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ من التناجي المذموم أو تحريف التحية ، ومطلوبهم تعجيل العذاب لو كان محمد ﷺ رسوله ﴿ حسبهم ﴾ يكفيهم من العذاب ﴿ جهنم يصلونها ، فبئس المصير ﴾ .

[٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ، وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ ﴾ أي بطاعة الله وما يقربكم منه ﴿ والتقوى ﴾ اجتناب ما يؤثم فاعله ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ فيجزىكم بما اكتسبتم مما أحصاه عليكم .

[١٠] ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ النجوى المذمومة المنهي عنها يزينها الشيطان ﴿ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْءٌ ﴾ أي الشيطان أو التناجي المذموم ﴿ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي بمشيئته ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ بالمضي في سبيله والاستقامة على أمره وانتظار النصر على أثره . روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يُحْزَنُ) .

[١١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ، فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ تعليم منه تعالى للمؤمنين بالإحسان في أدب المجالس ، بأن يفسح المرء لأخيه ويتنحى توسعة له ﴿ وإذا قيل : انشروا ، انفضوا للتوسعة ، أو ارتفعوا في المجالس ، أو انفضوا عن مجلس الرسول ﷺ ﴾ فانشروا ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴿ درجات دنيوية وأخروية . عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا) رواه الإمام أحمد والشيخان ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشروا فَانشروا وَايْرَفِعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ فَأَذَلُّوا تَفَعَّلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

[١٢] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ أي فتصدقوا قبل مسارته في بعض شأنكم ﴿ ذلك ﴾ التقديم ﴿ خير لكم ﴾ خير لأنفسكم لما فيه من مضاعفة الأجر والثواب والقيام بحق الإخاء والمواساة والإغناء ﴿ وأطهر ﴾ لأنفسكم من رذيلة البخل والشح ﴿ فإن لم تجدوا ﴾ ما تتصدقون به أمام مناجاتكم الرسول ﷺ ﴿ فإن الله غفورٌ رحيمٌ ﴾ لمن لم يجد الصدقة .



[١٣] ﴿ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ أخفتم من تقديم الصدقات الفاقة والحاجة ، يقول ذلك على سبيل التوبيخ لمن يبخل ﴿ فإذا لم تفعلوا ﴾ وشق عليكم تقديم الصدقة ﴿ وتاب الله عليكم ﴾ بأن رخص لكم أن لا تفعلوا رفعا للخرج ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله ﴾ فلا تفرطوا في الطاعات ﴿ والله خبيرٌ بما تعملون ﴾ فيجزىكم بحسبه . عن مجاهد قال : قال علي كرم الله وجهه : إن في كتاب الله عز وجل لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمْ ... ﴾ قال : فُرضت ثم نسخت . وكان رضي الله عنه قدم دينارا فتصدق به ثم أنزلت الرخصة . رواه ابن جرير .

[١٤] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني المنافقين الذين تولوا اليهود ينقلون إليهم أسرار المؤمنين ﴿ ما هُمْ مِنْكُمْ ﴾ ليسوا من المسلمين ﴿ ولا منهم ﴾ وليسوا من اليهود ﴿ ويحلفون على الكذب ﴾ وذلك بادعائهم الإيثار وهم كافرون ﴿ وهم يعلمون ﴾ أنهم يحلفون كذبا .

[١٥] ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . [١٦] ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ وقاية وعصمة لأنفسهم ﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ صدوا الناس وبطوهم عن الإيثار مستترين بالإسلام نفسه ﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ مذل في الآخرة .

[١٧] ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أي من عذابه يوم القيامة كما كانوا يفتنون العقوبة بتسترهم في الدنيا ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

[١٨] ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ في الدنيا كاذبين مبطلين ، وهو سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾ من النفع أو من الحق ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ فيما يحلفون عليه في الدارين .

[١٩] ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ استولى عليهم حتى صار الفساد والكذب ملكة لهم ﴿ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ بتسويل اللذات الحسية والشهوات البدنية وتزيين الدنيا بأعينهم ﴿ أولئك حزب الشيطان ﴾ أي أتباعه في الفساد والإفساد ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ للسعادة في الدنيا والآخرة . [٢٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ في أهل الذلة لأن الغلبة لله ولرسوله ﷺ .

[٢١] ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ المغلوب هم حزب الشيطان ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ قوي في إهلاك من حادّه ورسله ، عزيز لا يغلب في قضائه .

[٢٢] ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي شاقها وخالف أمرهما ، فلا مجتمع إيمان خالص وحب لأعداء الله ورسوله ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ أي ولو كان الذين حادوا الله ورسوله آباءهم ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ ففضيلة الإيمان مقدّمة على أي ولاء آخر مهما كانت درجته ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لا يوادّونهم ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي أثبتته فيها ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ بنور وعلم ولطف حيّ به قلوبهم في الدنيا ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ رضي الله عنهم ، ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون ﴿الفائزون بسعادة الدارين . [سورة الحشر]

مدينة . وآياتها ، أربع وعشرون آية . سميت بالحشر للدلالة إخراج اليهود وعلى لطف الله وعنايته برسوله وبالمؤمنين وغضبه على أعدائهم . سئل ابن عباس عنها فقال : «سورة بني النضير» وهم قوم من اليهود .

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ صلى الله وسجد له ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خلقه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز في انتقامه ، الحكيم في تدبيره إياهم .

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني بني النضير اليهود . [نزلت هذه الآية في بني النضير ، وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه ، وقبل رسول الله ﷺ ذلك منهم ، فلما غزا بدرًا وظهر على

المشركين قالت بنو النضير : والله إنه النبي الذي وجدنا نعتة في التوراة لا ترد له راية . لما غزا أحدًا وهُزم المسلمون نقضوا العهد وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين ، فحاصروهم على الجلاء من المدينة - النيسابوري ﴿مَنْ دِيَارِهِمْ﴾ من مساكنهم حول المدينة ﴿لَأَوَّلُ الْحَشْرِ﴾ لأول الجمع لقتالهم ، أخرجهم تعالى بقهره وقوته ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ ما ظننتم أن يخرج هؤلاء الذين أخرجهم الله من ديارهم من أهل الكتاب من مساكنهم ومنازلهم [لشدة بأسهم ومنعتهم ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أي من بأسه [روى ابن جرير عن يزيد بن رومان أن رهطاً من بني عوف من الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعه ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس ، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا لذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله ﷺ حين نزل بهم] ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ﴾ جاءهم عذابه وهو الرعب والإجلاء عن مساكنهم ﴿مَنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لم يظنوا أنه يأتيهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ وأنزله إنزالاً شديداً فيها ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴿كَيْفَ حُلَّ بِالْمُفْسِدِينَ لَنَعْلَمُوا صِدْقَ وَعْدِ اللَّهِ وَوعيده . [قال ابن جرير : قال قتادة : كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها وتخربها اليهود من داخلها] . [٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الخروج من أوطانهم ﴿لَعَذَّبَهُمُ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [روى ابن جرير عن ابن عباس في هذه الآية قوله : كان رسول الله ﷺ قد حاصروهم حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أراضهم وأوطانهم ، ويسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بغيراً وسقاءً .

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْ هَاقِئَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

[٤] ﴿ذَلِكَ﴾ الجلاء والعذاب ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ أي خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما نهاهم عنه من الفساد ونقض الميثاق ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾ فإنَّ الله شديد العقاب ﴿في الدنيا والآخرة .

[٥] ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ﴾ نخلة من نخيلهم إغاطة لهم ﴿أَوْ تَرَكْتُمْ هَاقِئَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ فبإذن الله ﴿أي بأمره ورضاه . [روى ابن جرير عن مجاهد : نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخيل ، وقالوا : إنها هي مغنم المسلمين ، ونزل القرآن بتصدق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه] ﴿وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾ لما فيه من إهانة العدو وإضعافه ونكايته .

[٦] ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ أي أعاد عليه من أموال بني النضير ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ فما أجريتم على تحصيله خيلاً ولا ركاباً ولا تعبت في القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم ، والإيجاف : سرعة السير ، والركاب : ما يركب من الإبل ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ من أهل الفساد والإفساد ليقوم الناس بالقسط ﴿والله على كل شيء قدير﴾ .

[٧] ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ من أموال محاربيها ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ﴾ فالفيء يقسم على هؤلاء المذكورين ، حتى لا يكون ﴿دولة بين الأغنياء منكم﴾ يتداولونه وحدهم دون من هم أحق به خالفه إلى ما نهى عنه . وقال العلماء : كل ما ثبت عن النبي ﷺ يصح أن يقال إنه في القرآن أخذاً من هذه الآية .

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ من مواطنهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ من العلوم والفضائل الخلقية ﴿وَرِضْوَانًا﴾ منه تعالى ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ببذل النفوس لقوة اليقين ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ إذ علامة وجدان اليقين ظهور أثره على الجوارح .

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ توطنوا دار الهجرة ﴿وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من قبل المهاجرين إليهم . أي : وأخلصوا الإيمان ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ لوجود الجنسية في الصفاء والموافقة في الدين والإخاء ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي في أنفسهم ﴿حَاجَةً﴾ طلباً أو حسداً ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره لسلامة قلوبهم وطهارتها من دواعي الحرص ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي حاجة وفاقه ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ﴾ بخلفها ، فيخالفها فيما يغلب عليه من حب المال وبغض الإنفاق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة . [عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دفع إلى رجل من الأنصار رجلاً من أهل الصفة ، فذهب به الأنصاري إلى أهله . فقال للمرأة : هل من شيء ؟ قالت : لا ، إلا قوت الصبية . فقال فنوميهما ، فإذا ناموا فأتني به ، فإذا وضعت فأطفيئ السراج . قال : ففعلت ، وجعل الأنصاري يقدم إلى ضيفه ما بين يديه ، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : (لقد عجب من فعالكم أهل السباء) ونزلت : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ - النيسابوري .

فَصَفَ
الْحَرْبِ
٥٥

[١٣] ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ، ذَلِكَ بِأَنْتُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ فهم يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله ، لجهلهم بعظمته وقدرته وعلمه . والضمير للمنافقين

من الله ، جهلهم بعظمته وقدرته وعلمه . والضمير للمنافقين أو اليهود .

[١٥] ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مثل هؤلاء اليهود من بني النضير كمثّل كفار قريش في وقعة بدر ، أو بني قينقاع ، كانوا أول يهود تقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ .

سورة الحشر

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِيدٌ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْنِنُ لَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَفَأُوا وَإِلَآ أَمْرُهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

[١٨] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿ وَلتَنْتَظِرْ نَفْسُ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ ما قدمت لما بعد الموت ، من الصالحات [التي تنجيهِ أم من السيئات التي توبقه ؟ وعن قتادة قال : ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد ، وغد يوم القيامة - ابن جرير] ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم بحسبها .

﴿ ٢٠ ﴾ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ ﴿ وهم الناسون
لِغَادِرُونَ ﴾ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴿ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ
عِندَهُمْ ﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ بِالنَّعِيمِ
الْقَلِيمِ .

والاعتبار ﴿لِعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ليعلموا أنهم أولى بذلك الخشوع والتصدُّع . [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ المعبود الذي لا تنبغي العبودية والألوهية إِلَّا لَهُ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن الحواس وما شوهد ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ المنعم بالنعم العامة والخاصة .

﴿٢٣﴾ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك ﴿الغني المطلق الذي يحتاج إليه كل شيء﴾ ﴿الْقُدُّوسُ﴾ المنزه عما لا يليق بجلاله ﴿السَّلَامُ﴾ الذي يسلم خلقه من ظلمه ، أو المبرأ عن النقائص كالعجز ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ لأهل اليقين بإزالة السكينة ، ومن فرع الآخرة ﴿الْمُهَيِّمُنُ﴾ الرقيب على كل شيء باطلاعه واستيلائه وحفظه [قال ابن زيد: المصدق لكل ما حدث، وقرأ ﴿ومهيماً عليه﴾ المائدة: ٤٨ ، قال: فالقرآن مصدق على ما قبله من الكتب، والله مصدق في كل ما حدث عما مضى من الدنيا، وما بقي، وما حدث عن الآخرة- ابن جرير] ﴿العَزِيزُ﴾ القوي الذي يغلب ولا يُغلب ﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي تنفذ مشيئته على سبيل الإجمار في كل أحد ، ولا تنفذ مشيئة أحد فيه ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي يرى الكل حقيراً ، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه . [قال قتادة: تكبر عن كل شئ] ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه من الأوثان والشفعاء . [روى ابن جرير عن جابر بن زيد قال: إن اسم الله الأعظم هو الله ، ألم تسمع يقول ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ إلى قوله ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ يقول: تنزيهاً لله وتبرئة له عن شرك المشركين به] .

﴿٢٤﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾ المَقْدَرُ لِأَشْيَاءٍ عَلَى مَقْتَضَى حِكْمَتِهِ ﴿الْبَارِئُ﴾ الْمَوْجِدُ لَهَا بَعْدَ عَدَمِ ﴿الْمَصُورُ﴾ لِلْكَائِنَاتِ كَمَا يَشَاءُ ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الدَّالَّةُ عَلَى مَحَاسِنِ الْمَعَانِي ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿فِي تَدْبِيرِهِ خَلَقَهُ وَصَرَفَهُمْ فِيهَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ .

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ
هُمْ الْمَفْسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أُنزِلْنَا هَذَا
الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
سُبِّحَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

[سورة الممتحنة]

مدنية وعدد آياتها ثلاث عشرة آية . تسمى سورة الامتحان وسورة المودة .

[١] يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء أولياء أي أنصاراً * تلقون إليهم بالمودة * هي صميم المحبة * وقد كفروا بما جاءكم من الحق * من الإيمان بالله ورسوله وكتابه * يخرجون الرسول وإياكم * من أرضكم ودياركم * أن تؤمنوا بالله ربكم * أي : يخرجونكم لإيمانكم بالله * إن كنتم خرجتم * أي هاجرتم * جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي * للجهاد في طريقي الذي شرعته لكم ، وديني الذي أمرتكم به ، والتباس رضائي عنكم الذي لا ثواب فوقه * تُسرون إليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم * من المودة وغيرها معهم * ومن يفعلهم منكم * أي اتخاذهم أولياء * فقد ضل سواء السبيل * أي جار عن السبيل السوي الذي جعله الله هدى ونجاة .

[٢] إن يتقوكم أي : إن يظفروا بكم * يكونوا لكم أعداء * حرباً عليكم لا تنفعكم مودتهم * ويسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء * بكل ما يسوؤكم كالقتل والشتم * وودوا لو تكفروا * مثلهم بما جاءكم من الحق .

[٣] لن تنفعكم أرحامكم أي قريباتكم * ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم * بإثابة المؤمنين ومعاقبة العاصين * والله بما تعملون بصير * فيجازيكم عليه . قال ابن جرير : وذكر أن هذه الآيات من أول

هذه السورة نزلت في شأن حاطب ابن أبي بلتعة ، وكان كتب إلى قريش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله ﷺ قد أخفاه عنهم . [وروى ابن جرير أيضاً عن ابن عباس - في هذه الآيات - قال : نزلت في رجل كان مع النبي ﷺ بالمدينة من قريش : كتب إلى أهله وعشيرته بمكة ، يخبرهم وينذرهم أن رسول الله ﷺ سائر إليهم ، فأخبر رسول الله ﷺ بصحيفته ، فبعث إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأتاه بها] .

[٤] قد كانت لكم أسوة أي قدوة * حسنة في إبراهيم والذين معه * أي الذين آمنوا معه من أنبياء الله كلوط عليه السلام * إذ قالوا لقومهم الذين أشركوا بالله وعبدوا الطاغوت : [إنا بُرءاء * منكم * وما تعبُدون من دون الله * كفرنا بكم * أي بدينكم ومعبودكم * وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده *] إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك * فإنه لا أسوة لكم في ذلك لأنه كان من إبراهيم لأبيه عن مودة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو لله * وما أملك لك من الله من شيء * وما أدفع عنك من عقوبة الله شيئاً إن أراد عقابك [عن قتادة قال : يقول : لا تأسوا بذلك فإنه كان عليه موعداً ، وتأسوا بأمره كله - ابن جرير] ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير * أمر منه تعالى للمؤمنين أن يقولوا ذلك . ومعنى [إليك أنبنا] إليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب لنا وترضى .

[٥] ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم * أي [كما قال مجاهد] : لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ يَشْفِقْكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۝ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۝ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۝ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝



[٦] لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر * تكرير لوجوب التأسي بإبراهيم وأصحابه ، لمزيد الحث على التبرؤ من المشركين ، والاسترسال إليهم * ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد * فإنه لا يضر إلا نفسه والله هو الغني عن إيمانه به وطاعته ، المحمود على كل حال .

[٧] عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم * وهذا من وعده سبحانه ، وقد أنجزه بأن أسلم كثير منهم بعد ذلك وصاروا أولياء للمسلمين وأحباباً .

[٨] لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم * ترخيص منه تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم * أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم * تقضوا إليهم بالبر وهو الإحسان ، والقسط : العدل * إن الله يحب المقسطين .

[٩] إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون * تكرير وتأکید للنهي عن موالاة الكافر المقاتل المعتدي .

[١٠] يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات * من مكة إلى المدينة * فامتحنوهن * فاختبروهن بما يغلب على ظنكم صدقهن في الإيمان * الله أعلم بإيمانهن * هو المطلع على القلوب لا أنتم ، فافتقوا بالعلامات الظاهرة * فإن علمتموهن مؤمنات * العلم الذي تبلغه طاعتكم البشرية * فلا ترجعوهن إلى الكفار * فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين * لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن * لانقطاع النكاح بينهما . قال ابن كثير : هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً ، ابتداء الإسلام ، أن يتزوج المشرك المؤمنة * وأتوهم ما أنفقوا * وأعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات ما أنفقوا عليهن من المهور * ولا جناح عليكم أن تنكحوهن * أجاز نكاح المؤمنين للمهاجرات الفارات من أزواجهن المشركين وإن كان هن أزواج * إذا أتيتن مؤمنات أجورهن * أي مهورهن * ولا تمسكوا بعصم الكوافر * جمع كافرة ، و العصم جمع عصمة ، وهي ما اعتصم به من العقد والسبب . وهذا نهي منه تعالى للمؤمنين عن الإقدام على نكاح المشركات من أهل الأوثان ، وأمرهم بفراقهن * واسألوا ما أنفقتم * اطلبوا أيها المؤمنون الذين فارقتم أزواجكم المشركات ما أنفقتم عليهن من المهور من أزواجهن المشركين * وليسألوا ما أنفقوا * وللمشركين أن يطلبوا ما أنفقوا على زوجاتهم السابقات ممن آمن منهن والتحق بالمؤمنين وتزوج منهم * ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم * فهذا الحكم هو حكم الله الحق الذي لا يعدل عنه .

[١١] وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فلم يردوا مهرها * فعاقبتن * فغزوتموهن وأخذتم منهن غنيمه * فاتوا الذين ذهبوا أزواجهم * من المسلمين * مثل ما أنفقوا * في مهورهن * واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون * فإن الإيمان به يقتضي أداء أوامره واجتناب نواهيه .

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ ﴿١﴾ أَمْوَالَ النَّاسِ ﴿٢﴾ وَلَا يُزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴿٣﴾ يَرِيدْنَ وَأَدِّبْنَ ، وَمِنْهُ الْإِجْهَاضُ ﴿٤﴾ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴿٥﴾ لَا يُلْحِقْنَ بَأَزْوَاجَهُنَّ غَيْرَ أَوْلَادِهِمْ ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَلْتَقُطُ الْمَوْلُودَ فَتَقُولُ لَزَوْجِهَا : هُوَ وَلَدِي مِنْكَ . كُنِيَ بِالْبُهْتَانِ الْمَفْتَرِي بَيْنَ يَدَيْهَا وَرَجُلَيْهَا عَنِ الْوَلَدِ الَّذِي تَلَصَّقَهُ بِزَوْجِهَا كَذِبًا ﴿٦﴾ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْؤُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿٨﴾

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي سخط عليهم لمعاداتهم الحق ومحاربتهم الإصلاح ، وهو عام في كل محارب ﴿قَدْ يَسْؤُونَ مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ أي : من جزائها لجحدهم بها ﴿كَمَا يَسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ كيأس الكفار السابقين من إخوانهم الكفار المقبورين [من ثواب الله في الآخرة ، وأن يبعثوا] .

[سورة الصف]

مدنية . وعدد آياتها أربع عشرة آية . وتسمى سورة الحوارين .

يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْؤُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصِينَ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُوا لِمَ تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

[١] ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أذعن الله كل خلقه العلوي والسفلي ، وانقاد لتسخيره ، ودل على ألوهيته وربوبيته .

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فمن ادعى الإيمان وجب عليه اجتناب الكذب وإخلاف الوعد ، وإلا فلا حقيقة لإيمانه . [٣] ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ لأن الكذب ينافي المروءة التي هي من مبادئ الإيمان ، فضلاً عن كماله ، والمقت : شدة البغض . [روى ابن جرير عن ابن عباس قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه ، فنعمل به ، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به ، فلما نزل الجهاد ، كره ذلك أناس من المؤمنين ، وشق عليهم أمره ، فقال الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾] .

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ، كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصِينَ﴾ والمراد الثبات ورسوخ الأقدام في الموقف ، واجتماع الكلمة . [٥] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي : لِمَ تقولون لي الأذى بالمخالفة والعصيان لما أمركم به ، وأنتم تعلمون علم اليقين صدقي فيما جئتكم به من الرسالة ، لما شاهدتم من الآيات البينات ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ عن مقتضى علمهم لفرط الهوى ، وحب الدنيا ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن طريق الهدى [عن أبي أمامة قال : هم الخوارج - ابن جرير] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق ، المصيرين على الغواية .

سُورَةُ الصَّفِّ

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ يَلْإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمُ عَلَى تَحَرَةٍ نُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ التي أنزلت على موسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ فلما جاءهم ﴿أحمد﴾ بالبينات ﴿أي : الدلالات التي أتاه الله إياها ، حُججاً على نبوته﴾ قالوا : هذا سحرٌ مبينٌ .

[٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ لا أحد أظلم وأشدَّ عدواناً ممن يدعى إلى الإسلام الظاهر حقيقته فيستبدل إجابته بافتراء الكذب واختلاقه على الله ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بما أنزل من الحق .

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ يريد هؤلاء القائلون لمحمد ﷺ : هذا ساحر ، ليطلوا الحق الذي جاء به بقولهم إنه ساحر ، وما جاء به السحر ، والله معلن الحق ومظهر دينه ، وناصر رسوله على من عاداه ، فذلك إتمام النور .

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليعليه على جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ لما فيه من محض التوحيد وإبطال الشرك .

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمُ عَلَى تَحَرَةٍ نُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ .

[١١] ﴿تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إيماناً يقينياً لا يشوبه أدنى شك ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن كنتم من أهل العلم ، أو : إن كنتم تعلمون أنه خير لكم . [عن قتادة ، قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمُ عَلَى تَحَرَةٍ نُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ : ألعلمكم إياها فقال ﴿تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ﴾ الآية . وقال قتادة : الحمد لله الذي بينها - ابن جرير] .

[١٢] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب الأمر ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ أي بساتين إقامة لا ظعن عنها ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها .

[١٣] ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ ونصر عاجل هو فتح مكة ﴿وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بنصره تعالى لهم وفتحه .

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ أي أنصار الحق الذي أنزله وأمر به ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ من معي وجندي متوجهاً إلى نصرته الله ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ ونصرت دينه وما أمر به ، وندعو إليه ، ونضحي لأجله حياتنا ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿بعيسى عليه السلام ، ونهضت تدعو إلى ما بعث به وتنشر دعوته﴾ وكفرت طائفة ﴿برسالته والحق الذي معه﴾ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ﴿من اليهود والرومان الوثنيين﴾ فأصبحوا ظاهرين ﴿غالبين عليهم بالبراهين الواضحة ، والحجج الظاهرة ، والسلطة القاهرة﴾ وفيه بشارة للمؤمنين بالتأييد الرباني لهم كما وقع لسلفهم .

[سورة الجمعة]

مدنية . وعدد آياتها إحدى عشرة آية . روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين .

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ من خلقه، ويعظمه طوعاً وكرهاً [الطاهر المبارك الشديد في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما هو أعلم به من مصالحهم] .
[٢] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٢] ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٤] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥] ﴿قُلْ يَتْلِيهَا الَّذِينَ هَادُوا وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٦] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [٧] ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٨]

[٣] ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ وهو العزيز الحكيم . وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد ، وسيلحقون بهم ، وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم ، وكل من دخل الإسلام إلى يوم القيامة . وقيل : المراد بالأميين العرب ، وبالأخرين سواهم من الأمم ، وجعلهم منهم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم ، فالمسلمون أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم .

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يعني بعثته تعالى رسولا ﷺ في الأميين ، وفي آخرين ، فضل تفضل به على من اصطفاه واختاره لذلك ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

[٥] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ كُتِّفُوا حملها والعمل بها ، ثم لم يعملوها ، ثم لم يحملوها ، كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴿شَبَّهَ الْيَهُودَ فِي أَنَّهُمْ حَمَلُوا التَّوْرَةَ وَقَرَّأُوهَا وَحَفَظُوا مَا فِيهَا ، ثُمَّ إِنَّهُمْ غَرَّوْا بِهَا ، وَلَا مُتَّفَعِينَ بِآيَاتِهَا الَّتِي تَبَشِّرُ بِهَا الرَّسُولُ ، شَبَّهَهُمْ بِالْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ كِتَابًا - وَالْكِتَابَ بِالنَّبَاطِيِّ يَسْمَى سَفَرًا - لَا يَفْهَمُ مَا يَحْمِلُ ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بآيات ربهم .

[٦] ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْيَهُودِ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿كَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ : نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، فَقِيلَ لَهُمْ : إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي زَعْمِكُمْ ، وَعَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِكُمْ ، فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ فَإِنَّ الْحَبِيبَ يَتَمَنَّى لِقَاءَ مَنْ يَحِبُّ وَلَا يَفِرُّ مِنْهُ .

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصي والسيئات والكفر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيجازيهم على أعمالهم .

[٨] ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ تخافون أن تمنوه بلسانكم ، مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴿قَالَ قَتَادَةُ : إِنَّ اللَّهَ أَذَلَّ ابْنَ آدَمَ بِالْمَوْتِ - ابْنُ جَرِيرٍ﴾ ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال ، حسناتها وسيئاتها ، فيجازيكم عليها .

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَتْلِيهَا الَّذِينَ هَادُوا وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

يَتَّيْنُهُمُ الْيَهُودُ إِذَا تَوَدَّى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿١﴾ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿٣﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ إِذَا دُكِّرُوا بِهَذَا أَمْرُهُ وَدِينُهُ وَشَرْعُهُ دَائِمًا لِتَصِيرَ لَكُمْ تَذَكُّرٌ ﴿٥﴾ أَشَارَهَا عَلَىٰ أَعْيَالِكُمْ وَأَخْلَاقَكُمْ فَتَلَحُّوا بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ﴿٦﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴿٧﴾ إِذَا رَأَوْا عِيرًا ﴿٨﴾ انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴿٩﴾ وَأَسْرَعُوا إِلَىٰ التَّجَارَةِ خَشْيَةَ أَنْ يُسْبِقُوا إِلَيْهَا ﴿١٠﴾ وَتَرْكُوكَ قَائِمًا ﴿١١﴾ عَلَى الْمَنْبَرِ [رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْجُمُعَةِ فَمَرَّتْ عِيرٌ تَحْمِلُ الطَّعَامَ ، قَالَ : فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَّا اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا ، فَتَزَلَّتْ آيَةُ الْجُمُعَةِ] ﴿١٢﴾ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَيْرٍ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ التَّجَارَةِ ﴿١٣﴾ لِأَنَّ الثَّوَابَ مَخْلَدٌ نَفْعُهُ بِخِلَافِ مَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْهَا [عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَانَ الْجَوَارِي إِذَا نَكَحُوا ، كَانُوا يَمُرُّونَ بِالْكَبَرِ - الطَّبَلِ - وَالْمَزَامِيرِ وَيَتَرَكُونَ النَّبِيَّ ﷺ قَائِمًا عَلَى الْمَنْبَرِ وَيَنْفَضُّونَ إِلَيْهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿١٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا - ابْنُ جَرِيرٍ ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنَ الرَّازِقِينَ ﴿١٦﴾ فَاعْمَلُوا لِلْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ عِنْدَهُ ، فَإِنَّهَا خَيْرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْفَانِيَةِ عِنْدَكُمْ .

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

[سورة المنافقون]

مدنية . وعدد آياتها إحدى عشرة آية . [١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴿أَيُّ إِنْ الْأَمْرُ كَمَا قَالُوهُ﴾ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿أَيُّ فِي قَوْلِهِمْ﴾ نَشْهَدُ ﴿وَادْعَائِهِمْ﴾ ، مواطأة قلوبهم ألسنتهم ، لأنهم أضمروا غير ما أظهروا . [٢] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ أي : حلفهم الكاذب ، أو شهادتهم هذه ﴿جُنَّةً﴾ وقاية من القتل والسبي ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي دينه الذي بعث رسول الله ﷺ به وشريعته التي شرعها لخلقهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في اتخادهم أيمانهم جُنَّةً ، وصدَّهم عن سبيل الله وغير ذلك من أعمالهم . [٣] ﴿ذَلِكَ﴾ ما نُعِيَ عليهم من مساوئهم ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ سَرًّا ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ حُتِمَ عَلَيْهَا بِمَا مَرَنُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّلَوُّنِ وَالتَّذْيِيبِ وَرَسُوخِ الْهَيَاتِ الْمُنْكَرَةِ ، فَحَجَبُوا عَنْ الْحَقِّ ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ حَقِّيَّةَ الْإِيْمَانِ ، وَحِكْمَةَ الرِّسَالَةِ وَالدِّينِ . [٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لَتَنَاسَبَ أَشْكَالُهُمْ ، وَحَسَنَ مَنَازِلَهُمْ وَرَوَائِهِمْ ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لَلِّينَ كَلَامَهُمْ بِمَا يَدَّهِنُونَ فِيهِ ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ فِي الْخَلْقِ عَنِ الْفَائِدَةِ ، لِأَنَّ الْخُشْبَ إِنَّمَا تَكُونُ مُسْنَدَةً إِذَا لَمْ تَكُنْ فِي بِنَاءٍ أَوْ دَعَامَةٍ لشيءٍ آخَرَ ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : يَحْسَبُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ خُبْرِهِمْ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ وَقِلَّةِ يَقِينِهِمْ ، كُلُّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُمْ عَلَى وَجَلٍ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ فِيهِمْ أَمْرًا يَبْتَكَ بِهِ أَسْتَارَهُمْ وَيَفْضَحَهُمْ وَيُبَيِّحُ لِلْمُؤْمِنِينَ قَتْلَهُمْ وَسَبْيَ ذُرَارِيهِمْ وَأَخْذَ أَمْوَالِهِمْ ، فَهُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْ ذَلِكَ كَلِمًا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَحِيٌّ عَلَى رَسُولِهِ ظَنُّوا أَنَّهُ نَزَلَ بِهِلَاكِهِمْ وَعَطْبِهِمْ ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ فَقَدْ بَطَلَ اسْتِعْدَادُهُمْ ، فَلَا يَتَدَبَّرُونَ بِنُورِكَ وَلَا تُؤَثِّرُ فِيهِمْ صَحْبَتُكَ ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ ، مَعَ وَضُوحِ مَنَارِهِ . وَ قَاتَلَ بِمَعْنَى لَعَنَ وَطَرَدَ ، وَهُوَ دَعَاءُ أَوْ خَبَرٌ .

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي هلموا إلى التوبة والإنابة مما فرط منكم ، وذاع من أفاعيلكم ضد المؤمنين ﴿لَوْأَ رَأَوْهُمْ﴾ حركوها وهزوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره ﴿وَأَيَّتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يُعْرِضُونَ عما دُعوا إليه ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن المصير إلى الرسول والاعتذار .

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ،
لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لفسقهم وخروجهم عن دين الفطرة
القوم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [روى ابن
جرير عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية بعد الآية
التي في سورة التوبة ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ التوبة : ٨٠ ، فقال رسول الله ﷺ :
(زيادة على سبعين مرة) فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ .

[٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾ حتى تصيهم مجاعة ، فيتفرقوا عنه ، يعنون فقراء المهاجرين ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ من بيده خزائنها رازقهم منها ، وإن بخل المنافقون [عن زيد بن أرقم قال : لما قال ابن أبي ما قال ، أخبرني النبي ﷺ ، فجاء فحلف ، فجعل الناس يقولون لي : تأتي رسول الله ﷺ بالكذب حتى جلست في البيت مخافة إذا رأوني قالوا : هذا الذي يكذب ، حتى أنزل ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ - ابن جرير .]

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لُيَخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ أَصْحَابُ الْأَيْمَانِ يُمْسِكُونَ﴾ عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴿فسمع ذلك زيد بن أرقم﴾ وقيل له: لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته أن يستغفر لك ، الله عز وجل فيه هذه السورة من أوها إلى آخرها .

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُنْهَكُم مَّاوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
أَنْزِلُوا وَأَوْحَىٰ بِهِ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ لن يؤخر في ذلك الوقت . وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله سأل الرجعة عند الموت . فقيل له : إنما يسأل الرجعة الكائن

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْنَهُمْ وَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ
خِزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ
مِنْهَا أَلَا دَلٌّ عَلَى اللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ
الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ
يُخْرِجَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

منها الأدلّ ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون ﴿ لمكان غرورهم وجهلهم وشدة ارتياهم . قال ابن جرير : وإنما عني هذه الآيات كلها فيما ذكر ، عبد الله بن أبي بن سلول ، وذلك أنه قال لأصحابه ﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ وقال ﴿ لكن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأدل ﴾ فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فأخبر به رسول الله ﷺ فدعاه رسول الله ، فسأله عما أخبر عنه ، فحلف أنه ما قاله ، وقيل له : لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوي رأسه ويحركه استهزاء ، ويعني بذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله عز وجلّ فيه هذه السورة من أولها إلى آخرها .

[٩] ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ لا يشغلكم الاغتياب بها عن ذكر أمره ونهيه ، ووعدته ووعدته ، أو ذكر ما أنزله وأوحى به ﴿ ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته .

[١٠] ﴿ وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لوأأخرتني إلى أجل قريب فأصدق ﴾ أتصدق وأخرج حقوق مالي ﴿ وأكُن من الصّالحين ﴾ .

[١١] ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ لن يؤخر في أجل أحد إذا حضر وقته ﴿ والله خيرّ بما تعملون ﴾ بأعمالكم ونيّاتكم ، فلا ينفع الإنفاق في ذلك الوقت . وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ، أو تجب عليه فيه زكاة ، فلم يفعل ، سأل الرّجعة عند الموت . فقيل له : إنّما يسأل الرّجعة الكفّار . فقال : سأتلوا عليكم بذلك قرآناً . ثم قرأ هذه الآية .

[سورة التَّغَابُنِ]

مَكِّيَّة . وعدد آياتها ثمان عشرة آية .

[١٦] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي ملك السموات والأرض ، ونفوذ الأمر فيها ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي الشاء الجميل ، لأنه مولى النعم وموجدها ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ .

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾
هو الذي انفرد بإيجادكم في أحسن تقويم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

[٣] ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ بالحكمة البالغة التي ترشد إلى المصالح الدينية والدنيوية ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ حيث برأكم في أحسن تقويم ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ إليه مرجعكم للجزاء .

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي
بخفاياها ، وما تنطوي عليه .

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا معشر الكفرة الفجرة ﴿نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطٍ ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ من عذاب الاستئصال .
والوبال : الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور .
﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ تعني كفرهم ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَقَالُوا أَأَبْشَرُ يَهُودُنَا﴾ استهزؤوا برسلمهم وقالوا أبشر
يهودونا؟ ﴿فَكَفَرُوا﴾ بالحق، والدين، والرَّسول

هم ، حيث أهلكهم وقطع دابرهم ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ بذاته

نية الكذب ﴿قُلْ بلى وربيّ لتبعنّ﴾ من قبوركم ﴿ثمّ

قدرة الكاملة .

معني القرآن الحكيم ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لا يخفى

سَاب وَالْجَزَاء ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ التَّغَابُنُ : مُسْتَعَارٌ مِنْ كَانُوا يَنْزِلُونَهَا لَوْ كَانُوا سَعْدَاء ، وَنَزُولُ الْأَشْقِيَاء مَنَازِل ﴿وَمَنْ يُمْرِنَ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ مَسْرُوعٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يَوْمُ التَّغَابُنِ هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمٍ مَنْ أَنْ يَدْخُلَ هَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَيَذْهَبَ بِأُولَئِكَ إِلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ
وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُدُونَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْشَوْا قُلْ بَلَى وَرَبِّي
لِغُبْنِكُمْ ثُمَّ لَنَنْبُوَنَّ بِمَا عَمَلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالْثَوْرَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَالِحًا كَفَرَ عَنْهُ سَيَأْتِيهِ وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

007

000

﴿ وَتَوَلَّوْا ﴾ عن التدبُّر في الآيات البيِّنات ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا ﴾
عن العالمين ﴿ حَمِيدٌ ﴾ يحمده كل مخلوق ، أو مستغفر

[٧] ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ من قبوره
لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ وَذَلِكَ ﴿الْبَعْثُ

[۸] ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿فِي مَا يَخْبِرُكُمْ بِهِ مِنْ الْغَيْبِ﴾
عليه منها شيء وهو مجازيكم على جميعها].

[٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ اللَّهُ﴾ ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ لِيَوْمَ يَجْمَعُ تَغَابِنَ الْقَوْمِ فِي التَّجَارَةِ ، وَهُوَ أَنْ يَغْبِنَ بَعْضُهُم بِالْإِسْعَاءِ الَّتِي كَانُوا يَنْزِلُونَهَا لَوْ كَانُوا أَشْقِيَاءَ ، فَخُذْهُ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا الْقِيَامَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَغْبِنُونَ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ - ابن كثير .]

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْمَصِيرُ﴾ [قال ابن جرير: ما كثر فيها أبداً لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها، وبش الشيء الذي يصر إليه جهنم].

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [يقدره ومشيئته] ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [إلى العمل بمقتضى إيمانه، ويشرحه للزيادة من الطاعة والخير] [قال ابن عباس: يعني يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه - ابن جرير] ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [فيعلم مراتب إيمانكم وسرائر قلوبكم وأحوال أعمالكم وأقانتها وخلوصها من الآفات].

[١٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [فإن توليتم فإنا على رسولنا البلاغ المبين] ﴿لَا أَرْسَلْ بِهِ﴾ [والله سبحانه ولي الانتقام من عصاه، وخالف أمره].

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [وعلی الله فليستوكل المؤمنون] ﴿أَيَّ وَحْدُوا الْأُلُوهِيَّةِ﴾ [وأخلصوها لديه، وتوكلوا عليه].

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [خطاب لمن آمن بالنبي ﷺ، وكان له من أزواجهم وأولادهم من يعاديهم لإيمانهم ويؤذيهم بسببه] ﴿وإن تعفوا﴾ [عن ذنوبهم] ﴿وتصفحوا﴾ [بترك الشريب والتعير] ﴿وتغفروا﴾ [جناباتهم بالرحمة لهم] ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ [يعاملكم بمثل ما عملتم].

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ﴾ [أي تفتتن بها النفس، ويجري عليها البلاء بها، إذا أوثروا على محبة الحق] ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [أي لمن أثر طاعة الله ومحبة عليه]. [قال ابن جرير: وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة فنبطهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم].

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [ابذلوا فيها استطاعتكم] ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [افهموا هذه الأوامر واعملوا بها] ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ [أي أموالكم التي ابتلاككم الله بها في مرضاته] ﴿خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ [اقتصدوا في الأموال والأولاد ما هو خير لكم] ﴿وَمَنْ يُؤَقِّ شَيْءٌ نَفْسِهِ﴾ [بالعصمة منه] ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم].

[١٧] ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [بالإنفاق في سبيله، ما تحبون من غير من ولا أذى، قال الزخشي: ذكر القرض تلتطف في الاستدعاء] ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ [أي يضاعف جزاءه وخلفه] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [ذنوبكم بالصفح عنها] ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ [ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا] ﴿حَلِيمٌ﴾ [عن أهل معاصيه، بترك معاجلتهم بعقوبته].

[١٨] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [ما يغيب عن أبصار عباده وما يشاهدونه] ﴿الْعَزِيزُ﴾ [الغالب في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه] ﴿الْحَكِيمُ﴾ [في تدبيره خلقه، وصرفه إليهم فيما يصلحهم].

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُؤَقِّ شَيْءٌ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

٥٥٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَبِرِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَبْسُنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَٰئِ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

٥٥٨

[سورة الطلاق]



مدنية . وعدد آياتها اثنتا عشرة آية . سميت بالطلاق لبيانها كيفية الطلاق السني ، وما يترتب عليه من العدة والنفقة والسكنى .

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [في وقتها، وهو الطهر في غير جماع] ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [أي اضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ] [اتقوه في تعدي حدوده في المطلقات، فلا تخرجوهن من بيوتهن التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق، غضباً عليهن، وكراهة لمساكنتهن، لأنهن حق السكنى، حتى تنقضي عدتهن] ﴿وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾ [باستبدادهن من تلقاء أنفسهن] ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ [فإن يخرجن . والفاحشة: كل أمر قبيح تعدي في حده، فيدخل فيه الزنا والسرقة والبذاء على الأعماء ونحوها] ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [بتعريضها للعقاب] ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [خطاب للمتعتدي بطريق الالتفات، لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي فالعنى: ومن يتعد حدود الله فقد أضر بنفسه، فإنك لا تدري أيها المتعتدي عاقبة الأمر].

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [إذا بلغت المطلقات اللواتي في العدة آخر عدتهن] ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [فراجعوهن بما أمركم الله به من الحقوق التي أوجبها الله لهن من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصُحبة] ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [وهو إيفاؤهن ما لهن من حق كالصداق والمتعة، على ما أوجب عليه لهن] ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [أشهدوا عند الرجعة والفرقة من يرضى دينهما وأمانتهما] ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [لوجهه تعالى خالصاً لا للمشهود له ولا للمشهود عليه، ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق، ودفع الظلم] ﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [المشار إليه هو الحث على إقامة الشهادة لوجه الله، ولأجل القيام بالقسط، ويحتمل عوده على جميع ما في الآية] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٣] ﴿وَبِرِزْقِهِ﴾ [من حيث لا يحتسب] ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [فهو كافيه] ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْغُ أَمْرِهِ﴾ [يبلغ ما أراد من أمره، فمن يقن ذلك فَوْض أمره إليه وعول عليه] ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [أي حداً وتقديراً حسبما تقتضيه الحكمة].

[٤] ﴿وَالَّتِي يَبْسُنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ [إن أشكل عليكم حكمهن أو شككنكم في الدَّم الذي يظهر منهن لكبرهن، أمِن الحيض هو أو من الاستحاضة؟] ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [واللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ] [من الجوارى لصغرهن إذا طلقهن أزواجهن بعد الدخول فعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر . حذف العدد لدلالة المذكور عليه] ﴿وَأُولَٰئِ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ﴾ [في انقضاء عددهن] ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [ما في بطونهن] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ [فلم يخالف إذنه في طلاق امرأته] ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [وهو تسهيل الرجعة ما دامت في عدتها، والقدرة على خطبتها].

[٥] ﴿ذَلِكَ﴾ [ما ذكر من حكم الطلاق والرجعة والعدة] ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ [لنأتمروا له وتعملوا به] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [بالمضاعفة].

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ أي من سعةكم التي تجدون ، وطاقتكم ومقدرتكم ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ﴾ لا تستعملوا معهم الضرار ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ﴾ في المسكن ببعض الأسباب ، من إنزال من لا يوافقهم ، أو يشغل مكانهم ، أو غير ذلك ، حتى تضطروهم إلى الخروج أو الافتداء ﴿وَأَنْفَقُوا عَلَيْهِمْ﴾ فأنفقوا عليهم حتى يرضعوا حملهم ﴿وَأَنْفَقُوا عَلَيْهِمْ﴾ فأنفقوا عليهم حتى يرضعوا حملهم ، وإن كان نساؤكم المطلقات أولات حمل ، وكن بائنات منكم ، فأنفقوا عليهن في عدتهن منكم حتى يرضعوا حملهم ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ يعني : نساؤكم البوائن منكم ﴿فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ على رضاعهن ﴿وَأَتَمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ يعني : المجاملة والمساحة في الإرضاع والأجر ، والخطاب للآباء والأمهات ﴿وَأِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي ضيق بعضكم على الآخر بالمشاحة في الأجر ، أو طلب زيادة ونحوه ﴿فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾ فلا سبيل له عليها ، وليس له إكراهها على إرضاعه ، ولكنه يستأجر للصبى مرضعة غير أمه البائدة منه .

[٧] ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ من سعة ماله وغناه على امرأته البائدة في أجر رضاع ولده منها ، وعلى ولده الصغير ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي ضيق عليه ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ على قدر ماله وطاقته ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ فلا يكلف الفقير نفقة الغني ، ولا أحداً إلا فرضه الذي وجب عليه ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ سيؤتي المقل بعد ضيق فرجاً ، وبعد فقر غنى ، تسلياً للمعسر من فقراء الأزواج وتصبيراً لمطلقاتهم ، وتطبيقاً لقلوب الجميع .

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَرْضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَثَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكِرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَنْتَظِرُ لَكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

[٨] ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَثَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ أعرضت عنه على وجه العتو والعداء ﴿وَرُسُلِهِ﴾ أي عن أمر رسوله كذلك ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ على ما قدمت فلم تغادر منه شيئاً ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكِرًا﴾ أي منكراً .

[٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي عاقبة ما اكتسبت وجزاءه ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ غيباً ، لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل .

[١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يعني عذاب النار المعد لهم في القيامة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوه واحذروا بطشه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ العقول ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا الله ورسوله ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ .

[١١] ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَنْتَظِرُ لَكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ لمن سمعها وتدبرها أنها حق من عند الله ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الضلال إلى الهدى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا ﴿أَيُّ طَيْبَةٍ﴾ وفيه تعجب له وتعظيم .

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ فالعبود المستحق للعبادة ، من هذا خلقه ، لا ما يُشرك معه ﴿يَنْتَظِرُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ﴾ يجري أمر الله وحكمه بينهن ، وملكه ينفذ فيهن ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿فَإِنْ كَلَّا مِنْهُمَا يَدَلُّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ﴾ .

سُورَةُ التَّحْوِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهَا بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَ هَاهُنَا قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَتَبَّنَّ وَعِدَاتٍ سَيَحِبَّنَّ تَتَبَّنَّ وَابْتِكَارًا ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

[٤] ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ إلى الحق ، والخطاب للمتظاهرين : عائشة وحفصة رضي الله عنهما [صغت : مالت] ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي تتظاهرا وتتفقا على ما يسوؤه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ متظاهرون على من أراد الإساءة إليه ، فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهرأوه ؟ .

[٥] ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ﴾ [عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اجتمع على رسول الله ﷺ نسائه في الغيرة ، فقلت هن : عسى ربه إن طلقك أن يبدلها أزواجاً خيراً منك ، قال : فنزل كذلك - ابن جرير] ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ خاضعات لله بالطاعة ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مصدقات بالله ورسوله ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مطيعات لما يؤمرن به ﴿تَابِتَاتٍ﴾ من الذنوب لا يصرن عليها ﴿عَابِدَاتٍ﴾ متعبدات لله ، كأن العبادات امتزجت بقلوبهن حتى صارت ملكة هن ﴿سَائِحَاتٍ﴾ قيل : معناه صائحات ﴿ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا﴾ قال بعض المحققين : إنه يستفاد من هذه الآية مشروعية السياحة للنساء ، كما هي كذلك للرجال ، فمعنى قوله تعالى ﴿سَائِحَاتٍ﴾ مسافرات .

[٦] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات والقيام على تأديب الأهل ، وأخذهم بما تأخذون به أنفسهم ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ تنقد بها اتقاد غيرها بالخطب ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾ تلي أمرها وتعذيب أهلها زبانية ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ جفاة قساة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ يؤدون ما يؤمرون به ، لا يتأقلون عنه ، ولا يتوانون فيه .

[٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار .

[سورة التحريم]

مدنية . وعدد آياتها اثنتا عشرة آية .

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ، تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ روى النسائي عن أنس رضي الله عنها أن النبي ﷺ كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به حفصة وعائشة حتى حرماها ، فأنزل الله هذه الآية . [وروى ابن جرير عن عائشة قالت : آلى رسول الله ﷺ وحرّم ، فأمرني في الإيلاء بكفارة ، وقيل له في التحريم لم تحرم ما أحل الله لك] .

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي شرع تحليلها . والتحلة : مصدر بمعنى التحليل ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ متولي أموركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بمصالحكم ﴿الحكيم﴾ في تدبيره إياكم بما شرعه وحكم به . وهذا صريح في أن تحريم الحلال قد فرض فيه تحلة الأيمان .

[٣] ﴿وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ﴾ محمد ﷺ ﴿إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ قيل : هي حفصة رضي الله عنها ﴿حَدِيثًا﴾ وهو تحريم فتاته في قوهم ، قال ابن جرير : أو ما حرّم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له ، وقوله لها : لا تذكري ذلك لأحد ﴿فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ﴾ أي أخبرته بالسّر صاحبتهما ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي أطلعه على تحديتها به ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ أي عرفها بعض ما أفشته معاتباً ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ بعض الحديث تكرماً ﴿فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ الذي لا تخفي عليه خافية .

[٤] ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ إلى الحق ، والخطاب للمتظاهرين : عائشة وحفصة رضي الله عنهما [صغت : مالت] ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي تتظاهرا وتتفقا على ما يسوؤه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ متظاهرون على من أراد الإساءة إليه ، فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهرأوه ؟ .

[٥] ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ﴾ [عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اجتمع على رسول الله ﷺ نسائه في الغيرة ، فقلت هن : عسى ربه إن طلقك أن يبدلها أزواجاً خيراً منك ، قال : فنزل كذلك - ابن جرير] ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ خاضعات لله بالطاعة ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مصدقات بالله ورسوله ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مطيعات لما يؤمرن به ﴿تَابِتَاتٍ﴾ من الذنوب لا يصرن عليها ﴿عَابِدَاتٍ﴾ متعبدات لله ، كأن العبادات امتزجت بقلوبهن حتى صارت ملكة هن ﴿سَائِحَاتٍ﴾ قيل : معناه صائحات ﴿ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا﴾ قال بعض المحققين : إنه يستفاد من هذه الآية مشروعية السياحة للنساء ، كما هي كذلك للرجال ، فمعنى قوله تعالى ﴿سَائِحَاتٍ﴾ مسافرات .

[٦] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات والقيام على تأديب الأهل ، وأخذهم بما تأخذون به أنفسهم ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ تنقد بها اتقاد غيرها بالخطب ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾ تلي أمرها وتعذيب أهلها زبانية ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ جفاة قساة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ يؤدون ما يؤمرون به ، لا يتأقلون عنه ، ولا يتوانون فيه .

[٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار .

[٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾
 توبة خالصة [روى ابن جرير عن النعمان بن بشير
 قال: سئل عمر عن التوبة النصوح، قال: التوبة
 النصوح أن يتوب الرجل عن العمل السيء، ثم لا يعود
 إليه أبداً] ﴿عسى ربكم﴾ بمناسبة أنفسكم بالتوبة
 النصوح ﴿أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ
 وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي لا يذلهم ﴿نورهم﴾ يسعى بين
 أيديهم وبأيانهم، يقولون ربنا أئتم لنا نورنا ﴿أي أدمه
 أو زده﴾. قال ابن جرير: يسألون ربهم أن يبقى لهم
 نورهم، فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط، وذلك حين
 يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿انظرونا نقتبس
 من نوركم﴾ - الحديد: ١٣ ﴿وَاعْفِرْ لَنَا، إِنَّكَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [قال مجاهد والضحاك: هذا يقوله
 المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفىء.
 وقال رسول الله ﷺ: (أنا أول من يؤذن له في السجود
 يوم القيامة، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر بين
 يدي فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن يميني
 فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف
 أمتي من بين الأمم. فقال رجل: يا رسول الله، وكيف
 تعرف أمتك من بين الأمم؟ قال: غر محجلون من آثار
 الطهور، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم،
 وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيانهم، وأعرفهم بسيماهم في
 وجوههم من أثر السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين
 أيديهم) - ابن كثير].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ
 أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَتِمْمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
 وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
 عَبْدَيْنٍ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
 قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
 وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ
 عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
 وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالسنان والبرهان ﴿وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ فيما تجاهدهم به، لتتكسر صلابتهم، وتلين شكيמתهم وعريكتهم
 ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

[١٠] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ أي حالهما ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي بالمظاهرة عليهما
 والكفر والعصيان مع تمكنهما من الطاعة والإيمان. [روى ابن جرير عن ابن عباس قوله ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه
 مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الضيف ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ وقيل ﴿أَيُّ لَهَا عِنْدَ مَوْتِهَا، أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾:
 ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ أي مع سائر الداخلين من الفجرة الذين لا صلة بينهم وبين الأنبياء.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي من عملهم وعذابهم، فاستجاب الله لها.

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي حفظته وصانته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ في جيب درعها ﴿مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾
 الموحاة ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ من المواظبين على الطاعة لله، والخضوع لأحكامه.

[سورة الملك]

مَكِّيَّةٌ . وعدد آياتها ثلاثون آية . تسمى سورة تبارك .
 [١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ
 أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قَدَّرَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
 فَأَمَاتَ مَنْ شَاءَ وَمَا شَاءَ، وأحْيَى مَنْ أَرَادَ وَمَا أَرَادَ، إلى
 أجل معلوم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي يقهر من
 أساء العمل ﴿الْغَفُورُ﴾ لذنوب من أناب إليه وأحسن
 العمل.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق
 بعض ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ تخالف
 وعدم تناسب في رعاية الحكمة، بل راعاها في كل
 خلقه ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ إن شككت فكرّر النظر ﴿هَلْ
 تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي خلل . وأصل الفطور الصدود
 والشقوق.

[٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أي كرّره ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ رجعتين
 أخريين ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ مطروداً عن
 إصابة المطلوب ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ عبي كال .

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ هي النجوم
 لإضاءتها ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ عاد الضمير
 في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ على جنس المصابيح لا
 على عينها، لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء،
 بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها
 ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة.

سُورَةُ الْمَلِكِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ
 تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
 يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ
 وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
 الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
 السَّعِيرِ
 وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
 إِذَا الْقَوَا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ
 تَكَادُ تَمَيَّزُ
 مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ
 قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ
 وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
 السَّعِيرِ
 فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ
 إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

[٦] ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع ذلك العذاب المحرق.

[٧] ﴿إِذَا الْقَوَا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ لأهلها من تقدّم طرحهم فيها، والشهيق هو الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة، كصوت الحمار وهي
 تفور تغلي بهم وتعلو.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي تتفرق أجزاءها من الغيظ على الذين أغضبوا الله ورسوله ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة من الكفار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا
 أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ في الدنيا ينذركم هذا العذاب.

[٩] ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴿فَكَذَّبْنَا الرَّسُلَ﴾ وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا
 الإنزال والإرسال، وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ من النذر ما جاءت به، سماع طالب الحق، وعقل من نبذ الهوى ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ في عداد
 أهل النار.

[١١] ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ فسحقاً لأصحاب السعير ﴿فَأَقْرَعُوا بِجُحْدِهِمْ الْحَقَّ وَتَكْذِيبِهِمُ الرَّسُلَ﴾ فبُعْدًا لهم، اعترفوا أو أنكروا فإن ذلك لا
 ينفعهم.

[١٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ يخافونه أو يخافون عذابه، وهم لم يروه ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.